

كتاب البدر والشمس

للإمام بن طاهر المقدسي

الجزء الاول

مكتبة الثقافة الدينية

المركز الرئيسي: ٥٢٦ شارع برادسيه القاهرة

تليفون: ٩٣٦٢٧٧ / ٩٢٢٦٢٠

كِتَابُ
الْبَدءِ وَالْتَّأَمِيحِ

الْجُزءُ الْأَوَّلُ

كِتَابُ الْبَدْءِ وَالتَّأْرِخِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وبه الحول والقوة

[F° 1 v°] تَسْلَقَ الزَّائِفُونَ عَنِ الْمَحْجَةِ فِي التَّلْبِيسِ عَلَى الضَّعْفَاءِ
وَتَعْلَقَ الْمُنْحَرِفُونَ عَنِ نَهْجِ الْحَقِّ فِي أَفْسَادِ عَقِيدَةِ الْأَغْيَاءِ
مِنْ طَرِيقِ مَبَادِي الْخَلْقِ وَمَبَانِيهِ وَمَا إِلَيْهِ مَعَادُهُ وَمَالَهُ تَعْلَقًا
بِهِ يَنْبَهُونَ غِرَّةَ الْغَافِلِ وَيُحِيرُونَ فَطْنَةَ الْعَاقِلِ وَذَلِكَ مِنْ
أَنْكِ مَكَايِدِهِمْ لِلدِّينِ وَائْتَنَ لِبُلُوغِهِمْ فِي انْتِقَاضِ الْمَوْحِدِينَ
وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ^١ وَيُعْلَى كَلِمَتُهُ وَيُهْلَجَ حُجَّتُهُ
وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ^١ وَأَنَّ مِنْ عَظِيمِ الْآفَةِ عَلَى عَوَامِ الْأُمَّةِ
تَضْدِيقُهُمْ لِمُنَازَرَةِ مَنْ نَظَرَهُمْ بِمَا تُخِيلُ فِي أَوْهَامِهِمْ وَانْتِصَبَ
فِي نَفْسِهِمْ مِنْ غَيْرِ ارْتِيَاضٍ بِطَرَقِ الْعِلْمِ وَلَا مَعْرِفَةِ بِأَوْضَاعِ

^١ Qor., sour. IX, v. 32.

القول ولا تحكك بآداب الجدل ولا بصيرة بمحقق الكلام ثم
القائهم بأيديهم عند أول صاكة تصك أفهامهم وقارعة
تقرع أسماعهم ضريع خاشعين مُستجدين مُستقلين الى ما لاح
لهم بلا اجالة روية ولا تميم(?) عن خبيثة وعلى اهل الطرف
والشرف منهم التخصيص بالنادر الغريب والرغبة عن الظاهر
المستفيض والإيجاب بنوامض الالفاظ الرائقة والكلم الرائعة
وان كانت ناحلة المعاني نحيقة المعاني ضعيفة الضمائر واهية
القواعد فقصارى نظرهم الاستخفاف بالشرائع والأديان
التي هي وثاق الله تعالى في سياسة خلقه وملاك امره ونظام
الألفة بين عباده وقوام معاشهم والنبيه على معادهم الرادع لهم
عن التبغى والتظالم والمهيب بهم الى التعاطف والتواصل
والباعث لهم على اعتقاد الذخائر من مشكور صنائع العاجل
ومحمود ثواب الآجل فتعرض الى ما هو منهى عنه في حكمة
العقل التعرض له من الاستهداف بقدر القادح واستدعاء
مقت الماقت والسعى في افساد ذات البين والاستشراف للفتنة
وتلبس الحق على الضعفة وأكثر ما يعترى هذه البلية طبقة
اهل اللسان والبيان يظنون ظنونا كاذبة ويستون بهم قاصرة

الى حيث يحجم همه البارز الثَّقاب عن التطلع الى أدناه ويمحق ما ذكره العُتبي في كتابه وان كان دخيلاً في صناعته متكلفاً ما ليس من بزمته حيث قال في صفة هذه الطبقة قد رضى من الله ومن عباده عوضاً ان يقال فلان دقيق وفلان لطيف يذهب إلى انَّ لطف النظر قد اخرجته عن جملة الناس وبلغ به علم ما جهلوه فهو يدعوهم الرعاع والغُشاء والغُثر وهو لعمر الله بهذه الصفات أولى وهي به أليق في اخوات لهذه كثيرة ويا لها من فضيحة اذا اخذت الحجة يكظم احدهم واسبل الحق جناحه عليه بقي مبهوتاً منقطعاً قد خانت معرفته وكذَّبه أمنيته وبدت عورته وظهرت حيرته وصار ضحكةً للناظرين ومثلاً سائرًا في السامعين بعد أن كان يظن ضحكة لفضل علم او بيان وكفى ذُلًّا وحُزنًا ودناءةً ونقصاً لراضٍ بهذه المنزلة ومعتز بتفريط السفلة مقبلاً على لحمة وعظمه مضيقاً أيام آدبه وعلمه ومن كانت هذه حاله فحق له النكال والتكثير في العاجل مع ما يبوئ به من ناهض الاثم وعظيم الإضرار في الآجل ومن اعظم ذلك على ارباب القلائس وأصحاب المجالس الذين طلبهم العلم لا لله ولا لأنفسهم ولكن

للتصدّر والتقدّم فهم يأخذونه من غير مظانّه ويترشحون له
 [٢٠ ٢ ١٥] بلاد واعية مقدّماته مستحليين أفئدة العامة بإطراء
 مذاهبهم مُفسدين عليهم أذهانهم بما يقصّون من غرائب العجائب
 التي رووها مستأكلة القصّاص عن أحداثٍ في العقل
 مردودة وأعجوبة عن الفهم محجوبة حتى شحّوا صدورهم
 بثرّات الأباطيل وضيعوا قوسهم بالأسرار والأساطير فهم إلى
 كل ناعقٍ سراع وعن كلّ ذي حقٍ بطاءٌ وللتبّع متعرضون
 وعن الواجب مُعرضون المحقّ فيهم مبطل والمدقّ مُلحد والمخالف
 لهم مقهور والناظر مهجور والحديث لهم عن جملٍ طارٍ اشهى
 اليهم من الحديث عن جملٍ سارٍ ورؤيا مريّة آثر عندهم من
 رواية مرويّة فهذه الخطّة كانت سبب حرمان العلم
 وتهجين اهله وفوت الحظ واستحقاق الخذلان والتوسيع للطاعن
 في الدين وتسهيل القادحين بالصخب والشغب والشنعة وردّ
 العيان وجحد البرهان ويأبى العلم ان يضع كنفه او يخفض
 جناحه او يُسفر عن وجهه إلا لتجرّد له بكليته ومتوقّر عليه
 بأنيته^١ معانٍ بالقريحة الشاقبة^٢ والروية الصافية من

به التأييد والتسديد قد شمر ذيله واسهر ليله حليف النصب
ضجيع التعب يأخذ مأخذه متدرجاً ويتلماه متطرفاً لا
يظلم العلم بالتعسف والافتحام ولا يخبط فيه خبط الشواء في
الظلام ومع هجران عادة الشر والنزوع عن نزاع الطبع ومجانبة
الإلف ونبد المحاكلة واللجاجة واجالة الراعى عن غموض
الحق والتأني بلطيف المأني وتوفيقه النظر حقه من التمييز بين
المشبه والمتبعض والتفريق بين التمويه والتحقيق والوقوف عند
مبلغ القول فنجد ذلك إصابة^٢ المراد ومصادفة^٣ المرتاد
وبالله التوفيق والرشاد، ولما نظر فلان اطال الله في طاعته
بقائه وبلغ من العلوم مناه الى احوال هذه الطبقة وما قد
يقسمهم من الهم وتوزعهم من انواع النحل وتصح مذهبهم
اشتاقت^٤ نفسه الى تحصيل الأصح من مقالاتهم وتميز الأصوب
من اشاداتهم فأمرني لازال أمره عالياً وجدّه صاعداً أن أجمع
له كتاباً في هذا الباب منخّطاً عن ذرّة العلو خارجاً عن حدّ
التفسير مهذباً من شوائب التريّد مصفّى عن سقاط الفسالات^٥

١. التالى. Ms.

٢. واشتاقت Ms.

٣. أصابه Ms.

٤. الفسالات Ms.

وخرافات المجازز وتزاوير القصّاص وموضوعات المتهمين من
المحدثين رغبةً منه في الخبر الذي طبعه الله عليه وامتناعًا للحق
ومناضلةً^١ عن الدين واحتياطًا له وذبا عن بيضة الاسلام
وردًا لكيد مُناويه وارغامًا لائف فاشحيه^٢ وتحرّزًا عن أن
يُصيب الحنق الموقور يلدغ ناره او يجلد الطاعن مطعنًا
فتسارعت الى امتثال ما مثل وارتمام ما رسم وتتبع صحاح
الأسانيد ومتضمنات التصانيف وجمعت ما وجدت في ذكر مبتداء
الخلق ومنتهاه ثم ما يتبعه من قصص الأنبياء عليهم السلم
وأخبار الأمم والاجيال وتواريخ الملوك ذوى الاخطار من العرب
والهجم وما روى من امر الخلفاء من لدن قيام الساعة الى
زماننا هذا وهو سنة ثلثمائة وخمسين وخمسين من هجرة نبينا
محمد صلعم وما حُكي أنه واقع بعدد من الكوائن والفتن
والمجانب بين يدي الساعة على نحو ما بُين وفُصل في الكتب
المتقدمة [٢٧٢] والاعبار المورخة من الخلق والخلائق واديان
اصناف الأمم ومعاملتهم ورسومهم وذكر العمران من الارض

^١ مناصرة Ms.

^٢ فاشحيه Ms.

وكيفية صفات الاقاليم والممالك ثم ما جرى في الاسلام من
 المنازى والفتوح وغير ذلك مما يمر بك في تفصيل الفصول
 وآثما نهنا على ما أردنا قول الحكماء أول العمل آخر التفكير
 وذلك انا لما جمعنا جمع ابتداء الخلق ثم لم نجد بُدْءًا من تصحيح
 الحجاج في ايجاب ابتدائه ولم يصح لنا تثبيت ذلك إلا
 باثبات مُبْدِئِهِ سابقًا بخلقه ولا امكن اثباته إلا بعد بيان
 طرق التوصل اليه فابتدانا بذكر دَرَو من حدود النظر والجدل
 ثم ايجاب اثبات القديم المبدئ العبد ثم ابتداء الخلق ثم ما
 يتلو ذلك فصلًا فصلًا وبابًا بابًا حتى اتينا على آخر ما كان
 النرض والمقصود به ، ولم يزل اهل الفضل والتحصيل من
 العلماء والعظماء والملوك في قديم الزمان وحديثه يرغبون في
 تخليد ذكركم ويتنافسون في ابقاء رسمهم ويحرصون ان
 يورثوا من بعدهم ما يؤثر عنهم من منقبة حميدة وحكمة بليغة
 ترغبًا في اقتناء الفضل واعتقاد الذخائر توخيًا منهم لعموم نفع
 الخير وتجرىا لشمول الصلاح والرشد وذلك ثمرة الانسانية
 وغاية ما يؤمله العقل وتطمح اليه النفس حتى أن فيهم من

اقتحم الممالك أنفًا لذكر شجاعته ومنهم من خرق بمضنون
 النفاس ومنهم من تكلفت لطائف النوادر بالأثارة^١ والاستنباط
 ومنهم من رفع منادًا أو بنى بناءً أو انبط ماءً كلٌ يجرى على
 قدر المهم والارادات لم يوجد واحد منهم خاليًا عن خصلة
 من الخصال وإن عميت إلا بناءً دونها فهذا الذي دعا فلانًا إدام
 الله تمكينه إلى الاقتداء بهم والارتياح إلى الأخذ بأخذهم
 والتأسي بأسوتهم لما خصه الله به من كريم الطبع وشرف
 المنة وبُعد النور وبنية الصلاح وحب الخير ثم ما يرجوه من
 حسن الثواب وكريم المآب بما عسى الله أن يبصر به مستبصرًا
 أو يرشد مسترشدًا ويهدي ضالًّا ويردُّ غاويًا وقد وسمتُ هذا
 الكتاب بكتاب البدء والتاريخ وهو مشتمل على اثنين
 وعشرين فصلًا يجمع كل فصل أبوابًا واذكاريًا من جنس ما
 يدلّ عليه،

الفصل الأول في تثبيت النظر وتهذيب الجدل ، وهو يجمع
 القول في معنى العلم والجهل والقول على كمية العلوم ومراتبها
 واقسامها والقول في العقل والمقول والقول في الحس والمحسوس

^١ بالانارة Ms.

والقول في درجات المعلومات والقول في الحد والدليل والملة
 والممارسة والقياس والنظر والاجتهاد والقول في الفرق بين
 الدليل والملة والقول في الحدود والقول في الاضداد والقول
 في حدث الاعراض والقول على أهل المنود^١ ومبطل النظر
 والقول في مراتب النظر وحدوده والقول في علامات

الانقطاع

٣١ 3 ١٢ الفصل الثاني في اثبات الباري وتوحيد الصانع،
 وهو يجمع الدلائل البرهانية والمحجج الاضطرارية والقول
 في جواب من يقول ما هو ومن هو وكيف هو والقول بأن
الباري واحد وفرد لا غير والقول بإبطال التشبيه،

الفصل الثالث في صفات الباري واسماؤه، وهو يجمع القول
 في الصفات والقول في الأسماء وما يجوز أن يُوصف به وما
لا يجوز واختلاف الناس فيه،

الفصل الرابع في تثبيت الرسالة وإيجاب النبوة، وهو يجمع
 اختلاف الناس فيه وإيجابه بحجة العقل والقول في كيفية
 الوحي والرسالة على ما جاء في الأخبار،

الفصل الخامس في ذكر ابتداء الخلق ، وهو يجمع ايجاب
 حدث الخلق وايجاب ابتدائه بالدلائل والمحجج وقول
 القدماء في ايجاب الخلق وابتدائه وذكر حكايات اهل
 الاسلام عنهم وذكر مقالات الثنوية والحرانية والمجوس وذكر
 مقالات اهل الكتاب فيه وذكر قول اهل الاسلام في
 المبادئ وذكر ترجيح أصوب المذاهب وذكر ما خُلق في
 العالم العلوي من الروحانيات وأول ما خُلق في العالم
 السفلي من الجسمانيات وسؤال السائل ممّ خُلق الخلق
 وفيم خُلق وكيف خُلق ومتى خُلق ولِمَ خُلق ،

الفصل السادس في ذكر النوح والقلم والعرش والكرسى
 وحمة العرش والملائكة وصفاتها واختلاف الناس فيها
 والقول في الملائكة أمكلفون هم أم مجبورون وانهم افضل
 من صالح وذكر ما جاء في الحجب وما جاء في سدرة المنتهى
 وذكر الجنة والنار وذكر صفة النار وذكر اختلاف الناس
 في الجنة والنار وذكر صفة اهل النار وذكر اختلاف
 الناس في بقاء الجنة [والنار] وفنائها وذكر اختلاف الناس
 في هذا الفصل وذكر الصراط والميزان والحوض والصور

[٢٠ 3 v^٥] والأعراف وغيرها،

الفصل السابع في خلق السماء والأرض ، وهو يجمع صفة السموات وصفة القللك وصفة ما فوق الفلك وصفة ما في الأقلاك والسموات كما جاء في الخبر وصفة الكواكب والنجوم وصفة صورة الشمس والقمر والنجوم وما بينهما واختلاف الناس في اجرامها واشكالها وذكر طلوع الشمس والقمر وغروبها وكسوفها وانقضاء الكواكب وغير ذلك مما يمرض في السماء وذكر الرياح والسحاب والأنباء والرعد والبرق وغير ذلك مما يحدث في الجو وذكر مقالة الشمس والقمر والكواكب والشهبان وقوس قزح والزوبعة والزلازل وذكر الليل والنهار وذكر الارض وما فيها واختلافهم في البحار والمياه والانهار والمد والجزر والجبال واختلافهم فيما تحت الارض وذكر قوله تعالى الله الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بينهما في سِتَّةِ أَيَّامٍ^١ وذكر ما حكى في الددة قبل خلق الخلق وذكر مدة الدنيا [قبل آدم عليه] السلام وذكر خلق الجن والشياطين وذكر ما وصفوا من عدد العوالم ،

^١ Qor., passim

الفصل الثامن في ظهور آدم وانتشار ولده، وهو يجمع اختلاف الفلاسفة في تأليف الحيوانات واختلاف المنجيين وسائر الناس في ذلك وذكر خلق آدم وذكر اختلاف أين خُلِقَ آدم وذكر قولهم كيف نفخ الروح في آدم وذكر سجود الملائكة لآدم وذكر قوله عز وجل وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ^١ وذكر دخول آدم الجنة وخروجه منها وذكر أخذ الذرية من ظهر آدم وذكر اختلاف الناس في آدم وقصته وذكر صورة آدم وخبر وفاته وذكر الروح والنفس والحياة واختلاف الناس فيها وفي الحواسب من القدماء وأهل الكتاب وما جاء في القرآن من ذكرها وفي الاخبار ومناظرات الناس فيها،

الفصل التاسع في ذكر الفتن والكواين الى قيام الساعة وما ذكر من امر الآخرة، وهو يجمع القول بوجوب فناء العالم وانتهائه وذكر قول مَنْ قَالَ مَنْ الْقَدَمَاءُ بِفَنَاءِ الْعَالَمِ وذكر قول اهل الكتاب في هذا الباب وذكر ما جاء في مُدَّةِ الدُّنْيَا وكَمِ مَضَى مِنْهَا وَكَمْ بَقِيَ مِنْهَا وذكر التاريخ من لدن آدم الى يومنا هذا على ما وجدناه في كتب اهل الاخبار وذكر ما بقي

^١ Qor., sour. II, v. 29.

من العالم وكم مبدّة [أمة] محمد صلعم [فيه] ما رواه أهل الأخبار وذكر ما جاء في أشرط الساعة وعلاماتها وذكر الفتن [٢٤٣] والكوائن الى آخر الزمان وخروج التّرك والهدة في رمضان والهاشمي الذي يخرج من خراسان مع الرايات السود وخروج السفيناتي وخروج القحطاني وخروج المهدي وفتح قسطنطينية وخروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السّلم وطلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض وذكر الدخان وخروج ياجوج وماجوج وخروج الحبشة وذكر فقدان الكعبة وذكر الريح التي تقبض أرواح أهل الإيمان وذكر ارتفاع القرآن وذكر النار التي تخرج من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر وذكر نفخات الصور الثلاث وذكر صفة الصور واختلاف أهل الكتاب في صفة ملك الموت وذكر ما بين النّفخين وذكر اختلافهم في قوله تعالى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ^١ وذكر المطرة التي تُنبت أجساد الموقى وذكر المحشر وذكر اختلاف الناس في كيفية المحشر وذكر الموقف وذكر تبديل الأرض وذكر طي السماء وذكر يوم

^١ Qor., sour. VI, v. 128.

القيامة وذكر ما قيل مما هو كائن بعد ذلك وذكر ما حُكي
عن القدماء في خراب العالم وذكر ما يجب على المرء اعتقاده

في هذا الباب

الفصل العاشر في ذكر الانبياء والرسل عليهم السلام ومدة
اعمارهم وقصص أهمهم وإخبارهم على نهاية الإيجاز والاختصار،
الفصل الحادي عشر في ذكر ملوك العجم وما كان من مشهور
أيامهم إلى مبعث نبيّنا محمد صلعم،

الفصل الثاني عشر في ذكر أديان أهل الأرض ونحلهم
ومذاهبهم وآرائهم من أهل الكتاب وغيرهم وهو يجمع ذكر
المعطلة وذكر أصناف الهند وشرائعهم وملهم وأهوائهم وذكر
أهل الصين وذكر ما حكى من شرائع الترك وذكر شرائع
الخراسانيين وذكر أديان الثنوية وذكر عبدة الاوثان وذكر
مذاهب المجوس وذكر مذاهب الحرمية وذكر شرائع أهل
الجاهلية وذكر شرائع اليهود والنصارى،

الفصل الثالث عشر في ذكر أقسام الأرض ومبلغ أقاليمها،
وهو يجمع ذكر الأقاليم السبعة وذكر المعروف من البحار

والأودية والأنهار وذكر الممالك المعروفة من الهند وتبت
وياجوج وماجوج والترك والروم وبربر والحبشة [٤٧٤] وذكر
بلاد الإسلام من الحجاز والشام واليمن والمغرب والعراق
والجزيرة والسواد وآذربيجان وأرمينية والاهواز وفارس
وكرمان وسجستان ومكران والجيل وخراسان وما وراء النهر
وذكر المساجد والباق الفاضلة مثل مكة والعراق وذكر
الثغور والرباطات وذكر ما حكى من عجائب الأرض وعجائب
اصناف الناس وذكر ما بلغنا من المدن والقرى ومن بناها
وأناها وذكر ما جاء في خراب البلدان،

الفصل الرابع عشر في أنساب العرب وأيامها المشهورة،

الفصل الخامس عشر في مولد النبي ومنشأه ومبعثه الى
هجرته صلعم،

الفصل السادس عشر في ذكر مقدم رسول الله صلعم الى
المدينة وعدد سراياه وغزواته الى يوم وفاته،

الفصل السابع عشر في صفة خلق رسول الله صلعم وخلق
وسيرته وخصائصه وشرائه ومدة عمره وذكر أزواجه وأولاده
وقرآباته وخبر وفاته وذكر معجزاته،

الفصل الثامن عشر في ذكر أفاضل الصحابة وأولى الأمر
منهم، من المهاجرين والأنصار وذكر حُلالهم ومدة أعمارهم وابتداء
إسلامهم وذكر أولادهم ومن أعقب منهم ومن لم يُعقب،

الفصل التاسع عشر في اختلاف مقالات أهل الإسلام،
وهو يجمع ذكر فرق الشيعة وفرق الخوارج وفرق المشبهة
وفرق المعتزلة وفرق المرجئة وفرق الصوفية وفرق أصحاب
الحديث رضهم،

الفصل العشرون في مدة خلافة الصحابة وما جرى فيها من
الفتوح والحوادث إلى زمن بني أمية وهو يجمع خلافة أبي
بكر رضه وما كان في أيامه من الردة والتبني والفتوح وخلافة
عمر رضه وما كان في أيامه من الفتوح وخلافة عثمان وما
كان في أيامه من الفتوح والفتن وخلافة علي بن أبي طالب
رضه وما كان في أيامه من الفتن وذكر الجمل وصيفين
والنهران [١٥٣] وخروج الخوارج عليه وذكر الحُكَّامين وخلافة
الحسن بن علي رضهما إلى أن غلب معاوية على الأمر،

الفصل الحادي والعشرون في ذكر ولاية بني أمية على
الإيجاز والاختصار وما كان منها من الفتن من فتن ابن الزبير

المختار بن أبي عُبيد وهو يجمع قصة زياد وموت المغيرة وعمرو بن العاص ووفات الحسن بن علي رضيهما وأخذ معاوية البيعة بزيد وولاية يزيد بن معاوية عليهما اللعنة ومقتل الحسين بن علي رضيهما وقصة عبد الله بن الزبير وذكر وقعة الحرّة. موت يزيد بن معاوية وولاية معاوية بن يزيد وذكر نكتة ابن الزبير إلى أن قتله الحجاج في ولاية عبد الملك بن مروان إلى آخر أيامهم،

الفصل الثاني والعشرون في عدد خلفاء بني العباس من سنة اثنين وثلاثين ومائة إلى سنة خمسين وثلثمائة،

فالتأخر في هذا الكتاب كالشرف المطلع على العالم مشاهدًا حركاته وعجيب أفعاله والسابق له قبل تركيبه وحدثه الباقي بعد انجلائه وذنوره وفيه لطرق العلم توطئة ولأهل الدين قوة وللبتدى رياضة وللاستأنس به سلوة وللتفكر فيه تبصرة وعبرة وهو إلى مكارم الاخلاق داع وعن الدناءة ناهٍ والله نسأل أن ينفعنا ومن نظر فيه بما ضُنن وأودع وان يثبنا عن سِنَّة الغفلة ويوقنا توفيقًا بحسن الإصابة إنه سميعٌ قريبٌ*

* Qur., s. XI, v. 64.

ألفصلُ الأولُ

“ في تثبيت النظر وتهذيب الجدل ”

أقول وبالله التوفيق ومَن عندهُ العصمة والتسديد ان معرفة هذا الفصل من أعوان الأسباب على درك الحق والتمييز بينه وبين ما يضافه لاغناء بأحدٍ عن مطالعته والإشراف عليه ليعرف الصدق من نفسه ومن غيره إذ قد يعترض من الفكر والتخايل والأوهام الفاسدة والخطرات الردئة ما يلتبس معها الحق ويتغلب عندها الظن والشك وليس ما يميّز بينها ويدلّ على صحة الصحيح وبُطلان الباطل منها إلّا النظر وبه يعترف السؤال الساقط من السؤال اللازم والجواب الجائز من الجواب العادل فلندكر الآن منه لئلا لهام ما نحن قاصدوه يكون عُدّة للناظر وقوّة للناظر ثمّ من بعد يستقصيه ان [شاء] الله في

كتاب استثنائه على هذا النوع وسمّياه كتاب العلم والتعليم
ومن عند الله العصمة والتوفيق،، أقول أن العلم اعتقاد
الشيء على ما هو به إن كان محسوساً فبالحس وإن كان مقبولاً
فبالعقل والحس والعقل أصل ما ترد إليه العلوم كلها فبإقضيها
بإثباته ثبت وما قضيا بنفيه انتفى هذا إذا كنا سليمين من
الآفات برئين من الماهات وعوارض النقص غسيلين من
عشق عادة الالف والنشو [٢٥٢] لا يكاد يقع حينئذ في
محسوسه ومقولته اختلاف إلا من مخالف أو من معاند لأنهما
على ضرورة لا يعترض للحاس شك في هيئة المحسوس وصورته
ولا يقدر المضطرّ ببدئية عقله أن لا يعلم ما يعلمه فيتيقنه
ولا يصدق من يدعى خلافه ولو كان مضطرّاً إلى دعواه كما
اضطرّ في حواسه لما ظهر من أحد خلاف ولا احتيج إلى كسر
قوله والكشف عن عوار كلامه ألا ترى أنّه يستحيل أن
تجد الحاسة النار باردة والثلج حاراً في الظاهر كما يستحيل أن
يكون المعلوم متحركاً ويعلم ساكناً أو يكون في نفسه
أبيض ويقع العلم بأنّه أسود ولو جاز هذا لبطلت العلوم
كلها رأساً وفسدت الاعتقادات فساغ لكل قائل ما أراد بمن .

لِقَاعِ السَّمْعِ الْبَصَرِ وَالْبَصَرِ السَّمْعِ وَالْحَيِّ مَيِّتًا وَالْمَيِّتِ حَيًّا وَهَذَا مُحَالٌ
لَأَنَّ الْعِلْمَ إِذَا كَانَ ادْرَاكَ الشَّيْءِ عَلَى مَا هُوَ بِهِ مِنْ حَدٍّ وَحَقِّهِ
ثُمَّ لَمْ يُدْرِكْ ذَاتَهُ كَمَا هُوَ لَمْ يَكُنْ مَعْلُومًا وَكَذَلِكَ الْحَسُّ إِذَا لَمْ
يُدْرِكْ طَبْعَهُ طَبْعٌ مَا يَقَعُ تَحْتَهُ لَمْ يَكُنْ مُحْسُوسًا وَهَذَا لَا خِلَافَ فِيهِ
بَيْنَ الْمُتَمَيِّزِينَ الْعَاقِلِينَ قَاطِبَةً إِلَّا رَجُلَيْنِ اثْنَيْنِ أَحَدُهُمَا الْعَامِيُّ
الَّذِي لَا تَنْظُرُ لَهُ لِإِغْفَالِهِ آخِذًا لَهُ اسْتِمَالُهُ وَمَتَى لَاحَ لَهُ
الْحَقُّ اتَّبَعَهُ وَانْقَطَعَ خِلَافُهُ لِأَن قَوْلَهُ ذَاكَ عَنْ حَدْسٍ وَظَنٍّ
وَسَمَاعٍ وَتَقْلِيدٍ فَإِذَا قَرَعَ سَمْعَهُ مَا يَشْهَدُ بِتَصْدِيقِهِ قَلْبُهُ مَا لَمْ
يَلِهِ وَقَبْلَهُ وَالثَّانِي الْجَاهِدُ الْمَعَانِدُ الَّذِي يَسْتَبِيهِ الْقَدَمَاءُ
السُّوفِسْطَانِيَّ وَسَنَذَكُرُ فِسَادَ مَذْهَبِهِمْ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
تَعَالَى ، وَضَدَّ الْعِلْمَ الْجَهْلَ وَمَعْنَاهُ اعْتِقَادُ الشَّيْءِ عَلَى خِلَافِ مَا هُوَ
بِهِ وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ لَا يَعْلَمُ جَاهِلًا بِالْإِطْلَاقِ وَلَكِنْ الْجَاهِلُ فِي
الْحَقِيقَةِ التَّارِكُ طَلَبَ حَدِّ الشَّيْءِ وَحَقِّهِ الْمُعْتَقِدُ لَهُ عَلَى غَيْرِ
مَا هُوَ بِهِ وَلَوْلَا ذَاكَ لَمَا اسْتَحَقَّ اللَّائِمَةُ وَالْمَذْمُومَةُ عَلَى
جَهْلِهِ ،،

الْقَوْلُ فِي كَيْفَةِ الْعِلْمِ وَمَرَاتِبِهَا ، أَقُولُ أَنَّ اسْمَ الْعَالِمِ قَدْ يُطْلَقُ
فِي الْجُمْلَةِ عَلَى الْفَهْمِ وَالْوَهْمِ وَالذَّهْنِ وَالْفِطْنَةِ وَالْيَقِينِ وَالْخُطْرَةِ

والمعرفة وكل ما يحصل منه ادراك شئ ظاهراً أو باطناً
ببديهة عقل أو مباشرة حاسة أو استعمال آلة كالأستدلال
والفكرة والبحث والتمييز والقياس والاجتهاد لأن هذه الحاصل
كلها آلات ادراك العلم وطُرُق التوصل اليه ومما يصاب من
هذه الجمة فروع بالإضافة إلى علم البدايه والحواس [أ] لا
ترى ان الإنسان العاقل المميز مضطر إلى شواهد عقله وحسّه
غير مضطر إلى استدلاله وبحسّه أو لا ترى أن لاسيّل إلى
البحث والاستدلال لمن عرى من عقله أو أصيب بحسّه فأول
العلم الخطرة الصادقة وهو كالبديهة مثلاً بل بقوة البديهة
وآخره اليقين وهو استقرار الحق وانتفاء الشك والشبهة عنه
وإنما اشترطنا في الخطرة الصدق لأنه قد يخطر النفس
والهوى والطبع والمادة بما لا حقيقة له فلا يجوز أن يُمدّ
من آخر العلم اليقين الذي يُحيط بالاشياء على وجهها ويدركها
بكنهها والمعرفة ادراك أيّنية^١ الشئ وذاته فمن قائل أنها
ضرورة وآخراتها [٢٥٨] مكتسبة والفرق بينها وبين العلم ان
العلم الإحاطة بذات الشئ عينه وحده والمعرفة ادراك ذاته.

^١ أبنية Ms.

وثباته وان لم يدرك حدّه وحقيقته فالعلم اعمّ وابلغ لأنّ كلّ معلوم معروف وليس كلّ معروف معلوماً ألا ترى أنّ الموحدين يعرفون ربّهم ولا يعلمونه إلا بالاثبات لأنّ الكيفيّة والكميّة عنه منفيتان، والوهم اعتقاد صورة شئ محسوس أو مضمون وان كان منفيّاً وجوده في الظاهر لأنّ قوّة الوهم في انبساطها تضعف فلذلك [ترى] ما لا تراه العيون وكذلك العين اذا امتدت قوّة بصرها وبعدت مسافة المرئى عنها رآته على خلاف ما هو به من الصغر والعظم والصورة واللون وغير ذلك من الهيآت وما خلا عن الهيآت والصفات والحدود كلّها فلا يمسّها الوهم ولا يتصور في النفس والفهم هو المعرفة وقوّة الذهن قريبة من قوّة العقل غير أنّ الذهن والفهم تطبّع والقطنة قريبة المعنى من الذهن وأنما احتجنا الى هذا لأنّ كثيراً من الناس يولعون بالبحث عن هذه الأسامي ويستفرون بينها واما الأسباب التي يتوصل بها الى ما خفى من العلم فالفكرة وهي البحث عن علّة الشئ وحدّه الرأى والروية والاستنباط انتزاع ما في طيّ العقول والمحسوس والاستدلال والاجتهاد وقد عدّ قومٌ ميل المادة والطبع ألا ما يميلان اليه

او ينفران منه علماً فهذه جملة أصول العلم وطرقها ومحصولها
 راجع الى ثلاثة أصناف الى المعقول بديهة والمحسوس ضرورة
 لأن ما يدرك يهما يدرك بلا واسطة ومقدمات والثالث
 المستدل عليه المستنبط بالبحث والامارة فهذه يقع فيها
 الاختلاف والاضطراب لخروجه عن حيز الحاسة والبديهة
 وتفاوت قوى المستدئين والناظرين وتفاوت آرائهم وعقولهم
 وهذا يكثر حدًا وفيه صنفت الكتب ودونت البدواين من
 على الحكمة والملة منذ قامت الدنيا على ساقيها ولا يزال
 كذلك الى انقضاء الدهور وتخرم الأيام وكثير من الناس
 أبوا أن يسموا علم البديهة والحس علماً على الحقيقة لاشتراك
 الناس كلهم فيه واستواء درجاتهم في ذلك ثم هو غير مستفاد
 ولا مكتسب بل أوجه الطبع العزيزة وقوة التمييز والخالقة ،

القول في العقل والمعتول ، أقول أن العقل قوة إلهية متميزة بين
 الحق والباطل والحسن والقبيح وأتم العلوم وباعث الخطرات
 الفاضلة وقابل اليقين وقد قيل إنما سمى عقلاً لأنه عقل
 للز عن التخطي إلى ما خطر عليه وقد أكرت الفلاسفة
 الاختلاف في ذكره ووصفه قال ارسطاطاليس في كتاب

البرهان أن العقل هو القوة التي بها يقدر الإنسان على الفكرة والتمييز وبها يلتقط المقدمات من الأشياء الجزئية يؤلف منها القياسات وقال في كتاب الأخلاق أن العقل هو ما يحصل في الإنسان بطريق الاعتياد من أنواع الفضائل حتى يصير له ذلك خلقاً وملكة متمكنة في الناس وقال في كتاب النفس بخلاف هذا وقسمه الى ثلاثة أقسام الى العقل الهولاني والعقل الفعال والعقل المستفاد وفسره لاسكندر^١ فقال انّ العقل الهولاني هو ما يوجد في شخص الإنسان من امكان التهيؤ لتأثير العقل الفعال وانّ العقل المستفاد [٢٠٦٧] هو المصور والعقل الهولاني بمنزلة العنصر وانّ العقل الفعال هو المخرج للعقل المستفاد على الوجوه بالفعل وزعم بعضهم أنّ العقل هو النفس وبعضهم يقول هو الباري جلّ جلاله مع تخاليف كثير منهم في هذا الباب ومما توارثناه عن الأسلاف قولهم العقل مولود والأدب مستفاد وإثما سماه بعضهم باسم افعاله فلا يضايقه بعد ان أتى المعنى المطلوب منه ألا ترى انه يقال يكتب المتصنين أخبار الأوائل والأشعار أنها عقولهم والمعنى نتاج

^١ الاسكندر. Ms.

عقولهم وأذهانهم وقيل ظنّ الرجل قطعة من عقله فكلّ هذا على التمثيل والاستمارة ولا يختلف قول القدماء في ان العقل الهولانيّ اصفى جوهر النفس وحسّه فوق حسّ النفس ورتبته على رتبّ الجواهر ودون رتبة الباريّ جلّ جلاله وهو أقرب الأشياء منه المسلمون لا يعلمون من العقل إلا ما هو مركّب في الإنسان خاصّة دون سائر الحيوان في العالم السفليّ فأمّا ما يحكى عن غيرهم فموقوف على الجواز ما لم يرده العقل او كتاب الشريعة وقد ذهب قومٌ أن حجة الطبع فيما يوجبه ويسلبه أولى من حجة العقل وادّعوا ذلك من جهة اشتياق الى ما وافقه ويلائمه وانه باضه عما يعافه وينافره وإنّ الله عزّ وجلّ خلقه اذ خلقه كذلك ولا يجوز ان يخلق شيئاً عبثاً او لتغير حكمة وفائدة والمقل مستحسن وهو يستحسن الشئ ثمّ يستقبجه ويستصوبه ثمّ يستخطئه والطبع لا يستحلي مرّاً ولا يستمرّ حاوّاً ولا يبعد الشئ عن خلاف ما هو به فأجابهم مخالفوهم أن الطباع لا تعرف إلا ما يحسّ وتُبَاشِر وقد تغيّرها العادات والموارض عن أصل جبلتها فتميل في بعض الأوقات الى ما كانت تنفر عنه وينفر عما كانت تميل إليه وليس من قوتها التمييز بين

الحسن والقبیح بالاستدلال كما فى قوّة العقل وقد صحت
طباع البهائم وسلّت أخلاطها ثمّ لم يحسن خطابها وامتناع الطبع
عن استحسان الحسن واستقباح القبیح غير محلى له من
الحكمة ولا موجب العبث فى خلقه كما أنّ الموات لا تحسّ
بشيء من الأعراض ثمّ لم يخل من الحكمة بل دلّته وما
تحوّيه من المنافع والمضارّ الذى خصّ به جنسه فائدته
وحكمته فدلّنا ان موجب العقل هو المولى عليه فى الاعتبار
والاستدلال لإسقاط التكليف ووضع الامتحان على البهائم التى
سلّت طباعها وأخلاطها فان قيل بتمّ عرفتم العقل قيل بنفس
العقل لأنّه الأصل والبديهة وأتمّ علوم الاستدلال كما عرفنا
الحسّ نفس الحسّ لأنّه الطبع ولو كنّا عرفنا العقل بعقل
لأفضى الأمر إلى ما لا نهاية له ولما كان العقل أصل
العلوم ورأسه فان قيل فيهم يفرقون بين دلالة العقل ودلالة
الهوى والمادة قيل بالردّ إلى الأصل لأنّ الفرع يشاكل
الأصل ولو لم يشاكله لم يكن فرعاً له ومن الدليل على
وجوب حجة الطبع تعظيم الناس كلّهم العقل وتبجيلهم إياه
وتفضيلهم مراتب العقلاء ورفعهم أقدارهم واستنابهم إلى

آرائهم واعتمادهم على اشارتهم وتمثيهم درجاتهم والاستخفاف بمن
ذلّ عقله وبسداً سخره ولم يفعلوا [٣٧ ٤] ذلك بمن استقامت
طباعه وكلت أخلاطه فعلمنا انه معنى غير معنى الطبع وهو
العقل*

القول في الحسّ والمحسوس ، أقول أن الحواسّ طُرُق وآلات
مُهَيَّاة لقبول التأثيرات كما وضعها الله عزّ وجلّ عليه فإذا باشرت
الحاسة المحسوس أثرت فيه بقدر قبوله وقبلت منه بقدر تأثيره
فبدرت به النفس وأدته الى القلب واستقرّ فيه ثم تنازعته
أنواع العلم من الفهم والوهم والظنّ والمعرفة وبحث عنه العقل
وميزه فما حَقَّقَه صار يقيناً وما نفاه صار باطلاً والحواسّ الخمس
أولاً يوجد شيء لا يمكن وجوده بشيء من الحواسّ فيحتاج الى
حاسة سادسة ويزعم قوم أنها أربع ويجعلون الذوق ضرباً من
اللمس وبعض يقول ستّ ويعتدون فعل القلب حاسة سادسة
وهذا سهل واسع بعد أن اقرؤا بصحة وجود فعل الحواسّ لأن
من الناس مَنْ ينكر حقيقة فعلها تتغير أحوالها ويحتاج برؤية من
يرى وجهه في السيف طويلاً وقامة في الماء الذي لا يكون
مساحة عمقه كساحة قامته منكسة ويرى الصغير كبيراً والكبير

صغيراً والواقف سائراً وهذا من رأى المعاندين والموهين إذ لا توجد هذه التغيرات في غير حاسة البصر وذلك للعلل العارضة من بُعد المسافة وتكاثف الهواء فيقع الغلط من جهة الكيفية والكمية لأن الحاسة لا تضبط الهئة إذا بُدّت فأمّا الإثنية فلا يقع فيها غلط ما لم يفرط بعدها فلا تحصر شخصها الحاسة وأما سائر الحواس التي فعلها بالمضامة والمباشرة فلا يقع فيها اختلاف ما صحت وسلمت وأهون ما يقابل به صاحب الرأى انكار الحواس نفسها عروضا لانكار فعل الحواس وما اعلم انا عقلاً^١ يشغل برء هذا الرأى وإنكاره ولظهور فساده وفحش خطابه*.

القول في درجات العلوم* أقول ان الأشياء كلها في العقول على ثلاثة أضرب واجب وسالب وممكن فالواجب في العقل بنفس العقل واستدلالة كعلمنا بأن البناء يقتضى بانياً والكتابة يقتضى كاتباً ولا بد لكل صفة من صانع وان الواحد والواحد اثنان وان الشيخ كان شياً والصغير كان رضيعاً وما أشبه ذلك والسالب المتنع المستحيل في العقل بنفس العقل واستدلالة

* المعلومات Ms.

١ ناعقل Ms.

وهو أن يوجد كتاب بنير كاتب وصنعة من غير صانع فإن
هذا لا يوجب العقل ولا يتصوره الوهم ولا يستقر عليه الطبع
والممكن الجائز الموهوم في العقل بنفس العقل كما حكى عن
القرون السالفة والبُلدان النائية وما يذكر أنه سيكون بعدُ
فإن ذلك مما يجوز في العقل أنه كذلك ويجوز أنه ليس
كذلك لأنه لا يدلّ خاطر على تحقيق شيء من ذلك إلا
ويجوز أن يدلّ خاطر على إبطاله لدخوله في حدّ الجواز
والامكان فلما تكافأت الأدلة به قصر على حدّ الوقوف
فلا شيء إلا وهو معقول معلوم أو معروف أو موهوم أو
محسوس*

في الحدّ والدليل [٣٧٧] والممارسة والقياس والاجتهاد والنظر
وغير ذلك، أقول إن الحدّ ما دلّ على عين الشيء وغرضه
باحاطة وإيجاز كحدود الدار والأرضين التي تميز حصة كل
مالك من حصة صاحبه فيعرف به داره فأرضه والزيادة في
الحدّ نقصان والنقصان منه زيادة يبطل الحدّ المطلوب كقولك
الإنسان حتى ميت ناطق هذا حدّه فإن زيد فيه شيء أو نقص
انتقض لأن الاعتبار صحة الحدود في الأطراد بالعكس

واحد وكل ما هدى الى شئ فهو دليل عليه فالبارئ سبحانه
وتعالى دليل خلقه والرسول عليه السلم دليل أمته والكتاب
دليل والخبر دليل والاثار دليل والحركة والصواب دليل وما
أشبه ذلك هذا الذى اختاره فى الدليل الذى يستدل أهل
النظر به وقد زعم بعض الناس ان الدليل هو المستدل نفسه
فناقضه مخالفه بأنه لو كان كذلك لجاز للمدعى إذا طُوب
بالدليل أن يقول أنا الدليل وهذا سهل قريب التفاوت لمن
تأمل أن اللغة لا تمنع ان يكون الدليل فاعل الدلالة
كالشريب والسير وان يكون غين الدلالة والمدلول عليه
كالصريح والقتيل يقول المدعى أنا الدليل إذا اراد فاعل
الدلالة غير خطأ وانما يستحيل إذا أراد به عين الدلالة
على ما يطالب به وقد يكون عنه دليلًا على الصانع اذا سُئل
لأنه ما من مدلول عليه إلا وهو دليل على شئ آخر وإن لم
يكن دليلًا على نفسه وأقول ان العلة السبب الموجب وهى
ضربان عقلية وشرعية فالعقلية الموجبة بذاتها غير سابقة
لمعولاتها كحركة المتحرك وسكون الساكن فالشرعية التى
تطرى على الشئ فتغير حكمه ويكون مقدمًا لها معولًا بعلة قبلها

والقلب فتى لم ينعكس لم يستقيم هذا الذى اختاره فى الحدود وإن كان للناس فيه أقوال ومذاهب لأن من رأى بعضهم أن حدة الشئ وضقه له فى ذاته كالعلة وعند بعضهم حدة الشئ من ذاته واسمه واعتبر بعضهم طرده من جانبين كما قلنا وبعضهم اقتصر فى جانب واحد اذا [صح] الطرد وهذا لا يستقيم إلا فى باب الشرع والالزام التى حجب عن الناس عليها الموجبة كقول من زعم مثلاً أن حدة الصلاة أنها طاعة ثم يقول وليس كل طاعة صلاة فالأولى فى هذا أن نسميه صفة لا حدة لأنه لو كان حدةً لسلم فى الطرفين كما قال إن حدة الإنسان أن يكون حياً ميتاً ناطقاً فكل حى ميت ناطق إنسان وكل إنسان حى ميت ناطق وقد قيل الحد جامع لما يفرقه التفضيل وأقول إن الدليل ما دل على المطلوب وثبه على المقصود كأنما ما كان من جميع المعانى التى تتوصل بها الى المدلول عليه وقد يدل الدليل على فساد الشئ كما يدل على صحته فبأذا دل على صحة شئ فهو دليل على فساد شئ والدليل على فساد الشئ فهو دليل على صحة ضده ويدل الدلائل الكثيرة المختلفة على العین الواحدة كالطرق المؤدية الى مكان

وشرط صحة العلة جريانها في معلولها فحتى ما تقاعست عن
الاطراد تهافت ذلك كوجود عين او حكم لعل من اللل ثم
وجود تلك العين والحكم مع زوال تلك العلة او زوال
العين [٨٤: ٨٣] والحكم مع بقاء العلة وصحة العلة كصحة
الحدة سواء مع أن كثيراً من الناس يستنون العلة الحدة
وليس يبيد لاتفاق المعنى وقيل ان العلة ذات وصف
واحد وذات وصفين وذات أوصاف كثيرة ولا يصح الحكم
بها إلا باجتماع أوصافها كقولنا في الإنسان أنه حتى ميت
ناطق لو اختزلت صفة من هذه الصفات لبطلت ان تكون
حداً للإنسان وعلة له وأقول ان المعارضة تصحح ما رام
خصمك افساده من مذهبك بمثل مذهبه ومعنى المعارضة
والمقابلة على السواء والمائلة فإذا وقعت على خلاف ما
يذهب الخصم اليه فهي ساقطة فاسدة وقد أنكر قوم هذا
الباب وابطلوه وزعموا انه خارج عن حدّ الجواب والسؤال
فأجابهم مخالفوهم بأنه ضرب من السؤال او زيادة فيه
واستدلوا بأن المعارض مجيب او مرئي مناقضه ولوجاز ان
تمسك للمعارض له عن جواب ما عورض فيه لجاز ان تمسك

المسؤل عن جواب^١ ما سُئل إذا السائل مستجير والمعاوض مجير
ثم نزل المعارضة من صححها أربع منازل يصح منها ثلاث^٢ ويبطل
واحدة وهي معارضة السؤال بالسؤال كسائل رجلاً ما قولك
في كذا فيكرُّ عليه وما قولك انت في كذا فهذا لأنه
ليس فيه شيء من جواب ما سُئل والثانية معارضة الدعوى
بالدعوى كقائل ان العالم قديم فيقول له الخصم ما الفرق
بينك وبين من يدعى انه مُحدث فيلزم مدعى القدم اقامة
البرهان والتفريق بين المدعين ومتى بطل قول من ادعى
انه مُحدث صحت له دعواه في القدم لأنَّ في صحة الشيء
فساد غيره والثالثة معارضة العلة بالعلة كقول الموحّد
للجسم إذا قلت أن البارئ جسم لانك لا تعقل فاعلاً إلا
جسماً فلمَ لم تعقل مركب مؤلف لانك لم تَرَ إلا جسماً
مركباً مؤلفاً والرابعة معارضة الدليل بالدليل فهو أن يقال
إذا كان دليلك كيت وكيت فما الفرق بينك وبين من يزعم
ان الدليل شيء آخر غير ذلك فالجواب أنك لا تقابل علة
بعلة ومطالبتك بالفرق مطالبة بتصحيح الدليل واقول ان

^١ Ms. répété deux fois.

^٢ Ms. répété deux fois.

القياس ردّ الشئ الى نظيره بالعلّة المشاركة ويقال القياس معرفة المجهول بالمعروف وقيل كلّ ما علم بالاستدلال من غير بديهة ولا حاسّة فهو قياس وقيل القياس التقدير واحتجّ قائلوه بقول الفرزدق

[وافر]

ونحن الى ذنوب مغرّات نقيس على الحصى ظمًا يمينًا

وهذه الأقوال قريبة المعاني كأنّها في مشكاة واحدة وقد أجاز بعض القائسين القياس على الإسم كما أجازوه على المعنى والقياس الصحيح الذي يوافق المقيس عليه من جميع معانيه أو أكثرها وتسمّى القياس البرهاني لدخوله في حيز علوم الإمكان وقد انكر بعض الناس القياس فلزمه ان ينكر ما فات حواسّه وبدائنه ويُقرّ بصحّة كلّ ما جاء من حقّ وباطل وقضيّة العقول توجب ان تكون كلّ مشبّهين واحدًا من حيث اشتباهها وإلا فلا معنى للاشتباه ألا ترى أنّه مستحيل أن توجد نار حارة ونار باردة لاشتراك النيران في طبع الحرارة وهو المعنى الموجب لهما في القضية وأقول ان الاجتهاد هو امان الفكرة والاستقصاء [٢٨٣] في البحث عن وجه الحق

لذى لا يصاب بالبديهة ولا بالحس لاسكن بالطب
والاستدلال وهو مقدمة القياس وكان القياس القضاء بالشئ
على التمثيل والاجتهاد طلب وجه ذلك القضاء من اصح
وجوهه والتحرز من وقوع الغلط فيه لأن القياس من غير
اجتهاد كالقول بالظن من غير استدلال وأقول ان النظر فعل
الناظر بقلبه ليرى ما خفى عليه فكما أن العين قد تقع على
الشئ ولا يتبينه إلا بعد النظر والتفكر فكذلك القلب
قد تعرض له الخطرة فلا يشبها إلا بعد النظر والتفكر والمناظرة
المفاعلة منه وقد تكون من تشبيه النظر بالنظير فيكون معناه
القياس المحض ،

القول في الفرق بين الدليل والملة ، أقول ان الدليل ما
هدى الى الشئ وأشار إليه والملة ما اوجبه واوجده ويوصل
الى الشئ بدليله لا بملته لأن علته ايضاً مما يوصل إليها وتعلم
بدليل لأن الذى يدل على العالم وقد يزول الدليل ولا يزول
عينه ومتى زالت الملة زالت العين وتختلف الأدلة على العين
الواحدة ولا تختلف الملة ومحال وجود ما يفوت الحواس والبدان
بغير دليل وغير محال وجود ما لا علة له ،

القول في الدليل ، أقول انّ من الدليل ما يوافق المدلول عليه بوجه أو وجوه كثيرة كرؤيتنا بعض الجسم والبعض يدلّ على الكلّ متصلاً كان أو منفصلاً ومنها ما لا يوافق المدلول عليه بوجه من الوجوه وسبب من الاسباب كالصوت يدلّ على المصوت ولا يشبهه والفعل يدلّ على الفاعل ولا يشبهه والدخان يدلّ على النار ولا يشبهها ويلزم من يزعم أنّ الدليل لا بُدّ أن يوافق المدلول عليه بمجهة من جهاته وإن خالفه في أكثرها فأمّا إذا لم يكن بينهما مناسبة وارتفع الاشتباه ارتفع التعلّق وإذا سقط تعلّق الدليل بالمدلول عليه بطل ان يكون دليلاً إلّا ان لا شئ في الغائب إلّا جسم أو عرض لأنّه لا يرى في الشاهد غير حدث وإن يُنكر ما في العالم الأعلى لأنّ ما في العالم الأسفل مخالف له فلا يكون دليلاً عليه فإن زعم زاعم أنّه كذلك لا شئ في جسم أو عرض أو حدث غير أنّه مخالف لما في الشاهد طوب بالفرق لأنّ المخالفة تقطع التعلّق والاشتباه والزم معارضه من عارضه بأن لا شئ في الغائب إلّا وهو حادث ولا في الشاهد إلّا غير حادث *

القول في الحدود، اقول ان الشئ اسمٌ عامٌ يُطلق على الجوهر
والعرض وما يدرك بالبديهة والحاسة والاستدلال من جميع
ما مضى وانتضى وما هو ثابت في الحال وما سيكون فيما
بعد. وحدّ الشئ ما يصحّ أن يُعلم أو يُذكر أو يوجد أو
يخبر عنه فاذا كان هذا حدّ الشئ فقد ثبت أن المدوم شئ
لأنه يصحّ الخبر عنه وأنكر قومٌ أن يكون المدوم شيئاً
وجعلوا حدّ الشئ أن يكون مثبتاً موجوداً لأنّ الموجود والمثبت
يتمان الأشياء كما يعمّ الشئ ولا نقيض لهما قالوا فلو كان
حدّ الشئ المعلوم لوجد له [٢٩ ٣] نقيض وهو المجهول وزعم
بعضهم أن حدّ الشئ المُثبت لا غير ولا شئ منفي والمدوم
غير مُثبت واحتجّ بعضهم بكتاب الله عزّ وجلّ أَوَلَا يَذْكُرُ
الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً فنفي ان
يكون الانسان قبل ان يخلق شيئاً وبقوله تعالى هل أتى
على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً^١
والشئ يذكر قبل الوجود ولو لم يكن شيئاً غير المُثبت الموجود

^١ Qor., s. XIX, v. 68. Ms. x (sic).

^٢ Qor., ch. LXXVI, v. 1.

أوجب أن يكون ما يخبر عنه من اخبار العالم والقرون مذكورة قامت
الدنيا باطلاً هذراً فإن قيل أن ذلك قد خرج مرة الى الوجود
قيل وما يدريك ان ما هو كائن بعد غير خارج الى الوجود
وقيل اذا خرج الى الوجود فهو شيء قيل فما خرج عن الوجود
فلا شيء فإن قيل محال تقدم الاسم على المسمى قيل ذلك
في الخواص فاما العالم فغير ممتنع لأننا نقول سيكون في
الدنيا أمور واسباب وحيوان فتقدم اسماءها قبل وجود شخصها
وقد كان ابو الهذيل يغايظهم بقوله في المعلوم انه جسم
خياط على رأسه قلنسوة يزقص ونقيض الموجود المعلوم
ونقيض المثبت المنفى وليس نقيض الشيء لا شيء لأن
المنفى والمعلوم شيان قد نفى وعدم ولا شيء لا يوصف
بالعدم والنفي فإن قيل فجسم هو أم عرض أم حركة أم
سكون قيل هو شيء معلوم مقدور عليه لا غير وحد الجسم أن
يكون طويلاً عريضاً عميقاً مؤلفاً مركباً من اجزاء واباض شاغلاً
للمكان حاملاً للاعراض ولا يوجد بته خالياً منها او من
بعضها فان انكر منكر أن يكون الموصوف بهذه الصفات
جسماً سلم له وسوئل في التسمية بما شاء وطُوب بالفرق

بينه وبين ما لا يوجد بهذه الصفات وكان هشام بن الحكم يزعم في حدّ الجسم انه ما قام بنفسه لانه كان يقول البارئ جلّ وعزّ عن قوله جسم فالجسم في اللغة ما غلظ وكشف وكذلك يقولون للجنة العظيمة جسيمة وإنّا أطلق هذا الإسم على ما الموصوف به معناه فان غُيّر اسمه لم يتغيّر معناه وإنما يتبيّن الفرق عند تفصيل الأسماء والأشخاص وحدّ العرض أن لا يقوم بنفسه ولا يوجد إلّا في جسم فإن أنكره منكرٌ قويل بما يقابل به منكر الجسم وطولٌ بالفرق بينه وبين غيره ثم كَلَمَ على ما أشار اليه من المعنى وقد زعم قوم أن لا عرض في العالم وأن الأشياء كلها أعراض مجتمعة متفرقة وحدّ الجوهر حدّ بعينه لاقه جسم ولأنّ ما خلا عن حدود الجسم والعرض والجزء لم يضبطه الوهم ولا يتصوّر في الظنّ الذي هو أضعف أجزاء العلوم ودخل في خبر الامتناع وقد يستى الجوهر الطينة والمادّة والميولى والجزء والعنصر والاسطقس واختلف الناس في الجزء الذي لا يتجزّأ من الأجسام فقال كثيرٌ من الناس أنّه لا يزال مجزّأ حتّى يصير في الصغر الى حيث

لا يجوز ان يتجزأ ولا يكون له ثلث ولا رُبْع ولا نصف
قالوا ولولا ذلك لما كان للأجسام تناءٍ ولما كان شيءٌ
أكبر من شيءٍ ولا أصغر منه ولما جاز لقائل أن يقول أن
الله قادر على أن يرفع من الجسم كل اجتماع خلقه فيه
فأقبل الاجتماع بين جزئين قال ابن بشار النظام وهشام بن
الحكم انه يتجزأ تجزأً بلا نهاية ولم يتهياً بالفعل
فأنه موهوم واحتجوا بأنه كما لا يجوز أن يخلق الله
شيئاً لا شيءٌ أكبر منه فكذلك لا يجوز [٢٩٧] ان
يخلق شيئاً لا شيءٌ أصغر منه وقالوا لو كان قول من قال
أن الجزء لا يتجزأ صحيحاً كان في نفسه لا طول له ولا
عرض فإذا حدث له ثانٍ حدث لهما طول فلن يمدوا
الطول ان يكون لأحدهما دون الآخر أو لهما معاً فلما ثبت أنه
لهما علم أنه يتجزأ وقال الحسين النجار الجزء يتجزأ حتى يعود
إلى جزء لا يقبله الوهم فيبطل حينئذٍ وقال قوم لا ندري
كيف القول فيه واختلفوا في جواز الرؤية عليه وحلول
الأعراض فيه من اللون والحركة والسكون وغير ذلك فأجازه

قومٌ ونفاه آخرون والقديما مختلفون في هذا الفصل على خلاف قول أهل الاسلام فيزعم بعضهم أنه يُرى قبل الاسطقات الاربعة اسطقات آخر صاغر الأجزاء غير متجزئة في غاية الصغر منها تركيب الاسطقات التي منها تركيب العالم وأما ارسطاطاليس يقول أما التجزئة بالقوة فإنها بلا نهاية وأما بالفعل فلها نهاية وقال بعضهم لا يتجزأ لا يقبل الانفصال مع اختلاف كثير بينهم ، وحدّ الزمان حركة الفلك ومدى ما بين الأفعال هذا قول المسلمين وحكى عن افلاطن أنه يرى الزمان كوناً في الوهم وحكى ارسطاطاليس في كتاب السماع الطبيعي أن جميع القدماء كانوا يقولون بسرمدية الزمان ألا رجلاً واحداً يعني افلاطن وروى عنه افلوطينس^١ أنه قال جوهر الزمان هو حركة السماء هذا وفاق قول المسلمين وبعضهم يقول أن الزمان ليس بشئ مع اختلاف كثير بينهم وإنما ذكر ما ذكر من مذاهبهم لتطمئن نفس الناظر الى خلاف القائلين بالعقل والتمييز وليستفيد يقيناً بما

^١ .فانه Ms.

^٢ .افلوطينس Ms.

بعضه من وفاق قولهم لأن في الإجماع قوة وهو من أوكد أسباب الاستظهار^١ عليهم، وحدّ المكان ما اعتمد عليه الجسم أو أحاط به أو حلّه العَرَض وهذا أرادُه ارسطاطاليس حيث قال المكان نهاية المحتوى الذى يماس ما يحتوى عليه واختلفوا في الخلاء والفضاء فقال قومُ العالم لا خلاء فيه وإنّ الهواءَ جسمٌ منتشر بسيط ويتحن بالآلة التى هى على هيئة^٢ الرطل فى أسفلها ثقب فاذا شدّ اعلاها لم يخرج الماء من أسفلها واذا فتح سأل فقل أن الماء دفعه دافع وهو الهواء الداخل فى الكوز وقال آخرون لا يخلو الأجسام من خلاء وهو الفرج بين الأجزاء واستندلوا بالماء الذى يُصب على الأرض فيغوص فيها وفرق قومٌ بين الفضاء والخلاء فقالوا الخلاء هو الفراغ من الجسم والفضاء هو المحتوى على الخلاء بلا نهاية ويزعم قوم أن الخلاء والفضاء شىء واحد ويقول آخرون انه ليس بشىء وحدّ المتغايرين ما جاز وجود أحدهما مع عدم الآخر وقال بعضهم حدّهما ما اختلف أوصافهما وحدّ

^١ الاستظهار Ms.

^٢ هيئة Ms.

الضدين ما لا يجوز وجود أحدهما إلا مع عدم الآخر وحدّ الموجود ما ثبت علماً او حساً او وهماً وهو معنى الشئ وحدّ الاسم ما دلّ على المسمى بالتمييز من جنسه والصفة كالاسم في بعض الأحوال إلا أنّ خاصيّة حدّها الاخبار عما في الشئ كالعلم في العالم وقد يفرق قوم بين الوصف والصفة فيجعلون الصفة ما هو ملازم للموصوف والوصف قول الواصف ذلك وحدّ الارادة ما يضطره الانسان [p 10 r] في قلبه من فعل او قول او حركة وحدّ القول ما يُبديه القائل لسانه وقد يقال للاشارة قول على المجاز وحدّ المعنى عقد القلب على ما ابدى بلفظه فزعم ابن كلاب ان معنى القول نفس القول ولو كان كذلك ما سأل السامعُ القائل ما معنى قولك وحدّ الحركة زوال وانتقال وهي على ضروب فمنها الحركة الذاتية والمكانية وقد قيل الحركة اختلاف وتغيير وحدّ السكون لبث واستقرار وزعم بعضهم ان السكون ليس بشئ وحدّ الجنس ما يجمع أشياء مختلفة الصُور كالحَيوان والنبات وقد قيل الجنس ما استوعب الانواع وحدّ النوع تخصيص النظائر من الجنس والشخص تمييز الذات من النوع والشخص تحت النوع

والنوع تحت الجنس. وهذا المقدار من هذا الباب لإغناء
بأخذٍ عن مطالعته فإنه كالمادة للنظر والآلة للجدل ،

القول في الأضداد، أقول ان قول من يزعم ان الشئ
لا يُعرف إلا بضده محالٌ لأن معرفة الشئ بمحدوده ودلائله
بل شكله وتظيره أسكن^١ من معرفته بضده ونديده لأن
الشئ يدل على جنسه ونوعه ما لا يدل على ضده ولكن
الضدين لا يجتمعان وعند صحة الشئ فساد ضده ولا يقع
التضاد إلا بين الموجودات فبطل قول القائل أن ضد الجسم
لا جسم وضد العرض لا عرض وضد الزمان لا زمان وضد
المكان لا مكان وضد الشئ لا شئ لأن الأضداد أشياء متنافية
وقول القائل لا جسم ولا عرض لا شئ في الحقيقة فكيف
يُضاد الشئ بلا شئ ولكن الأجسام والأعراض أشياء مضادة
كالأسود ضد الأبيض والقديم ضد المحدث لأن القديم الموجود
لا إلى أول والحادث ما يوجد بعد ان لم يكن^٢ ،

القول في حدث الأعراض ، أقول أن معرفة حدث الأعراض

١ Ms. اسكن.

٢ Ms. لم يمكن.

من أوائل العلوم القائمة في النفس البديهة وما المنكر لها إلا
بمنزلة المنكر للظاهر المحسوس لمماينتنا تعاقب الألوان المتضادة
على الأجسام كالسواد بعد البياض والبياض بعد السواد
وكذلك الروائح المتضادة^١ كالكرهية والطيبة وسائر الحالات
التي لا يخلو الجواهر منها كالحرّ والبرد والرطوبة واليبوسة
واللين والخشونة والحركة والسكون والاجتماع والافتراق
والافتراق والطعوم الملاذ والمكاهة وما فجده من أنفسنا من
الحب والبغض والإرادة والكراهية والشوق والملازمة والجزئ
والشجاعة والقوة والضعف والشبهة والمشيبة والنوم واليقظة
والجوع والشبع وما نراه من حال القيام والقعود والقرب والبعد
والحياة والموت والفرح والحزن والرضا والغضب وسائر العوارض
التي تطرأ على الأجسام وبعد أن لم يكن وتنزل^٢ بعد أن
كانت وهذا باب يستكمل جميع أوصاف العالم وما فيه
لو تكلفه متكلف لأنه الدليل على الحدث والكون وقليل
الشيء يدل على كثيره فإن زعم زاعم أن هذه الأعراض

^١ Ms. التضاده.

^٢ Ms. نزول.

جسام طولٍ بالفصل بين الحامل والمحمول ولا بُدَّ من
 تفصيل بينهما ثم من الدليل على أن العَرَض غير الجسم جواز
 الاختلاف عليه وعين الجسم باقية كالبسرة الخضراء مثلاً
 تراها تصفر [١٠ ١٠] فتبطل خضرتها ثم تحمر بعد صُفرتها وعينها
 قائمة وكالراضى ينضب فيختلف حاله وعينه لا تختلف
 والشاب يشيب والحى يموت فلما لم يحز ان يقال لمن قد شاب
 أنه ليس بذلك الشاب ولمن مات أنه ليس بذلك الحى مع
 ورود حال وارتفاع حال أخرى عقل أن العَرَض ليس يحسم
 ولا بعض الجسم لأنَّه لو كان كذلك لتغير الجسم كما
 تغير الأعراض الحادثة فإذا ثبت أن الأعراض غير الأجسام
 وجب إن نظر أحادثة هي أم قديمة فلما رأيناها كائنة بعد أن
 لم تكن وزائلة بعد أن كانت دلنا ذلك على حدوثها
 وكونها كوجودنا الجواهر متفرقة بعد أن كانت مجتمعة ومجتمعة
 بعد أن كانت متفرقة ولن يخلو أن [تكون] مجتمعة بأنفسها
 أو باجتماع فيها فإن كانت مجتمعة بأنفسها لم يُجزَّ وجودها
 متفرقة ما دامت انفسها قائمة فعلما أنها مجتمعة باجتماع ثم
 نظرنا أذلك الاجتماع جوهر او عرض فدلنا أنه لو كان

جوهرًا لكان مجتمعًا باجتماع آخر ثم كذلك الى ما لا نهاية فلما
 بطل ما قلنا علمنا أنه مجتمع باجتماع هو عرض لا جوهر وكذلك
 القول في الحركة والسكون فإن قيل أن الأعراض كانت
 كامنة في الجسم ثم ظهرت بعد ظهورها حادث أم غير حادث
 مع استحالة أن يكون الاجتماع والافتراق والحركة والسكون
 كامنة في الجسم فيكون الجسم في حال واحدة ووقت واحد
 ساكنًا متحركًا ومجتمعًا متفرقًا فإن التجأوا الى مذهب
 من يقول بالهوى وأنه كان جوهرًا قديمًا لم يزل خاليًا من
 الأعراض ثم حدث فيه الأعراض فحدث فيه هذا العالم بما فيه
 قيل لا يخلو حدوث الأعراض فيه من أن يكون كانت كامنة
 فظهرت او كانت في جوهر آخر فانتقلت او لم تكن بنتة
 فأحدثت فلما استحال كون الأعراض في الجوهر الذي
 يزعمونه خاليًا من الأعراض ان يكون مثل أجسام العالم أو
 دونها أو أعظم منها او يكون جزءًا لا يتجزأ أو كيف ما كان
 فإن الصغر والكبر والمثل اعراض لم ينفك منها ولم ينفك من
 الحوادث فحادثٌ، واعلم أن أحكام هذا الفصل من الفرض
 الواجب والحق اللازم وخاصة معرفة حدث الأعراض وان

الجوهر لا ينفك منها لأنّها الدليل الظاهر على الحدث والحادث
والاختراع ونسأل الله التوفيق والتسديد وأن يعصمنا برحمته
ويزيدنا بصيرةً في طاعته؛

القول على أهل النود ومُبطلِي النظر، أقول أنّ طائفةً من
الجاحدين سَمّاهم السوفسطائيةً معنى هذه اللفظة عندهم
الموهون المخرقون وقد سَمّاهم ارسطاطاليس الملحدِين
أبطلوا العلوم كلّها رأساً وزعموا أنّ لا حقيقة لشيءٍ من العلوم
والمعلومات فانكروا موجود الحواشِ ومَقول البدائِه
ومستنبطات الاستدلال وزعموا أنّ الأشياء على الخيلولة
والحسبان وكما يراه النائم في المنام وقد أعرض كثير من
الناس عن مناظرتهم وعَيّت على من اشتغل بالردّ عليهم لأنّ
ما أنكروه ضرورة المشاعر والبدائِه التي يستغنى فيها عن
الدليل لأنّها اصل العلوم ومتى ذهب ذاهبٌ يدلّ على صحّته
فقد أوجب الدليل لما لا يحتاج فيه حتّى يقوده ذلك الى
ما لا نهاية له وناقضهم من ناقضهم مرثى^١ العامة فساد
مذهبهم فقال الحسن اوجدكم [٢١ ١١] ما تدعون أم النظر

^١ Sic, ms.

قادم الى ما تزعمون فان ادعوا الحس كذبهم العيان وإن
ادعوا النظر قالوا لعلكم غالطون في نظر عقولكم ولعلّ نظر
مخالفكم يدلّ على خلاف نظركم فان سلّموا الأمر لزمهم أن
لا يناظروا مخالفاً ولا يخطّوا مُخطئاً ولا يحمّدوا مُحسناً ولا
يذمّوا مُسيئاً وهذا خلف من القول ووهن في الرأى وإن
ادعوا ترجيح نظرهم فقد اثبتوا النظر ونقضوا الأصل الذى
بنوا عليه مذهبهم وقد احتبس هذا الرأى صنفان من هذه
الأمّة مقلّد مبطل النظر ومدعى أن لا دليل على النافى
فلزمهما من ذلك ما لزم أصحاب العنود وقيل لهم أبنيظري
وحجّة أفسدتهم نظر العقول وحُججها أم بنير حجة فإن قالوا
بنظر فكيف يبطلون النظر وهم يشبّونه وإن زعموا بنير نظر
فالسؤال والجواب من النظر ولا يلتقى به من ليس من اهل
النظر وكلّ كلام من غير نظر فبحود أو عنود أو سهو أو غلط
أو تمبّث وبمثلّه يقابل الزاعم أن لا دليل على النافى ثمّ
نفيت الدليل مع أنّك مع نفيك ما نفيت أحد المدعين اذ انت
لو عارضك خصمك بتلّ قولك وابطل دعواك ثمّ اذا طالّبته
بتصحيح مذهبك أحال على مذهبك فهل غير اثبات الدعويّين

أو استقاطها ولنظار نزل الإسلام وفقهاهم حجاج كثيرة في
 هذا الباب وليس هذا من غرض هذا الكتاب ومما يستدل
 به على وجوب النظر أنه لما لم تكن الأشياء كلها موجودة
 حقًا ولا كلها باطلة حقًا ولكن حقًا وباطلًا ثم وجد الاختلاف
 فيها شائعًا على النظر إما من عالم مُعاندٍ أو جاهلٍ عاجزٍ ولم
 يكن الأخذ به على اختلافه وجب عليه بالنظر الذي يميز
 بين الحق والباطل وأيضًا لما لم تكن الأشياء كلها ظاهرة
 لأنها لو ظهرت لما جهل شيء ولا كانت خفية لأنها لو
 خفيت كلها لما علم شيء وكان منها ظاهرٌ جليٌّ وباطنٌ خفيٌّ
 وجب طلب علم ما خفي منها ولا يوجد ذلك إلا بالنظر،

القول في مراتب النظر وحدوده، أقول أن العلماء الذين
 وطأوا للنُّظَّار سبيل النظر ومهدوا لهم سبيل الجدل أضربوا
 في ذلك حدًّا من تعداه أو قصر دونه تبين تنكبه^١ وتسفؤه
 واخلل مذهبه وفساد يئسته فجعلوا السؤال أربعة أقسام لا يقع
 فيها صدق ولا كذب لأنها استخبار عن مائئة^٢ المذهب

١. بتن تنكبه. Ms.

٢. مائة. Ms.

أولاً ثم عن الدليل ثم عن الملة ثم عن تصحيح الملة وذلك نهاية فصول النظر واستقرار صحة الدعوى وفسادها وقابلوا أقسام السؤال بعددها من الجواب وكلها أخبار تمحل الصدق والكذب لأن الصدق الإخبار عن الشئ بما فيه والكذب الإخبار عنه بما ليس فيه والسؤال ليس بإخبار فيحتمل الصدق والكذب وإنما يوجب السؤال أحد الشيئين إما الجهل به وإما امتحان المسئول عنه والجواب يوجب القبول والتسليم والرد والإنكار بمعارضة أو مطالبة بالدليل والدليل يوجب الملة والملة تحقق الجواب إذا طردت صحت وحيثما انتهى الخصم وسأم انتهى الكلام،

[٢١١ ٧] القول في علامات الانقطاع، أقول المناقضة والانتقال والعجز عن بلوغ الغاية وجحد الضرورة ودفع المشاهدة والاستعانة بالغير والسكوت للعجز كلها من دلائل الانقطاع وكل سائل مخير في سؤاله متفقاً كان [أو] متعنتاً أحق في سؤاله أو أحوال وليست كذلك حال الجيب بل عليه القصد للحق وتعريف السائل وجه سؤال من إصابة وإحالة ولا عليه أن يجيبه عن مسألة هي فرع

لمسئلة يخالفه فيها حتى يقرره بإيجابها وتأخذ ميثاقه
على القول بها لأن الخلاف اذا كان واقعا في الأصل لم يطرد
القياس في الفرع وذلك في التمثيل كسائل عن الرسالة
منكر للتوحيد وإثما تصح النبوة بصحة التوحيد لأنه الموجب
لها وكل سؤال يرجع الى السائل بمثل ما يريد أن يلزمه المستول
فغير لازم لأن المعارضة فيه قائمة فطلب الدليل على الدليل
والعلة على العلة إلى ما لا نهاية له فاسد لأن محصول
الظواهر المحسوس ومحصول البواطن المقول وما لا نهاية له
غير موجود ولا معلوم ولا موهوم وقد يستحسن لابن الهذيل
قوله إن صحة الصحيح وانتقاض المنقوض في جميع ما
اختلف فيه المختلفون يعلم في ثلثه أوجه أحدهما إجراء^١
العلة في المaul والثاني نقض العلة بالتفسير والثالث
جحد الاضطرار فاما ترك إجراء^١ العلة في المaul فكقول
الرجل فرسى هذا جواد فيقال ولم قلت ذلك قال لأنني
أجريت كذا فرسخا فيقال له أكلت فرس جرى في اليوم
كذا فرسخا فهو جواد فإن قال نعم أجرى علة وان

١ . Ms. les deux fois, إجراء.

قال لا قد نقضها وهو يحتاج الى علة أخرى وأما نقض
الجملة بالتفسير فكقول القائل إذا أشدَّ حرَّ الصيفة
أشدَّ^١ برد الشتاء التي تليها وإذا أشدَّ برد الشتاء أشدَّ جَرَّ
الصيفة التي تليها ثم يقول وقد يشتدَّ حرَّ الصيف ولا
يشتدَّ برد الشتاء الذي يليه فيكون قد نقض بهذا التفسير
الجملة التي تقدّمت لأنها لو صحت لم يشتدَّ حرَّ الصيف إلا
بإشتداد برد الشتاء أبدًا وأما جحد الاضطرار ففي البداهة
والحواسّ وذلك كسؤالنا الدهرية عن شيخ رأيناه على كرسيّ
في هيئته وخضابه أيزعمون أنّه لم يزل هكذا قاعدًا
في مكانه بحاله التي هو عليها من الكسوة والخضاب
فان قالوا نعم جحدوا الاضطرار بشهادة العقول بابطالهم،
واعلم أنّ السكوت بعد استقرار الحقّ أبلغ من الكلام في
الذبّ عنه وزيادة البيان هُجْنة وربّما أورثت فرصة لأنّ
الإفراط نقص وعلم بفلج^٢ الحجّة ودحوصها^٣ أبلغ من افصاحك

^١ . واشتد Ms.

^٢ . فلج Ms.

^٣ . ودحوصها Ms.

بها لأن الشاهد شاهد القلب لا شاهد اللسان وليس كل من لزمه قول مناظره أو عجز عن جوابه في الوقت وجب عليه المصير إلى مذهب خصمه ولكن بعد التبيين والتثبيت واستبراء الحال والرجوع إلى الأصول الموطودة والأعلام المنصوبة فإذا انكشف النطاء عن وجهه وصرح المحض عن زبدته وأومض الحق سيره فلا يسع حينئذ غير الإقرار والانقياد له وليس من الحق تكليف الحضم إظهار ما هو خفي في نفسه لأنه غير ممكن كما يمكنه إخفاء ما هو ظاهر في نفسه ولأن ذلك [٢٠ 12 ٢] إزالة الشيء عن وجهه فهذه مقدمات قد مشاها نظراً للناظر في كتابنا ونصحاً لمن احتاط لدينه وتحرز من تمويه المحدثين وتلبيس المخترقين وخطرات الحجّان ووساوس الخُلَمَاء الذين أفسد الفراغ فكرهم وأخذت الكفاية قرائهم وحلت عن الدقائق عقولهم وعاشت بصنوف الشهوات نفوسهم وملكهم الهزل وركبهم الجهل واسترقهم الباطل وهجرتهم الفكر وعميت عليهم مواقع النظر فاحتالوا في إسقاط التكليف عنهم ليمرحوا في ميادين الشهوات وليركبوا ما يهوونه من اللذات بانكار علوم الأصول من البديهة

والحواس والله المستعان وهو خير معين، وبعد فإن لأهل
الإسلام أصولاً من الكتاب والسنة والاجماع والقياس
عليها ما يقوم لهم الحجة بها بينهم ويقنعون بشهادتها ودلائلها
وكذلك أهل كل ملة ودين وكتاب غير أن ذلك
لتصحيح فروع دينهم وشرائع ملتهم فلذلك أضربنا عن
ذكره صراحة *

الفصل الثانى

فى اثبات البارئ وتوحيد الصانع بالدلائل البرهانيّة
والحجج الإضطراريّة

أقول أنّ الدلائل التى تدلّ على اثبات الله عزّ وجلّ غير
محصاة ولا متناهية فى أوهام الخلائق لأنّها بعداد أجزاء أعيان
الموجودات من الحيوان والنبات وغير ذلك ممّا خفى من
الأبصار لأنّه ما من شيء وإن صغر جسمه ولطف شخصه إلا
وفيه عدّة دلائل تعبّر عن ربوبيّته وتصرّح عن إلهيّته
تصريحاً ينتفى مع أدناها الشبهة ويُزاح الملة وإلى هذا المعنى
نظر بعض المحدثين وفى كلّ شيء له آية تدلّ على أنّه
واحد ولن يجوز غير ما قلنا لأنّه لما كان هو خالق الخلق
وصانع الصُّنع ومخترع الأعيان ومُخرجها من العدم الى الوجود لم
نخلُ من آثار خلقه واختراعه فهى الدلائل المقترنة بها
الشاهدة على صانعها ومُنشئها فمن الدليل على اثبات البارئ سبحانه

وتعالى أنه خلاف بين الأوائل والأواخر إن الأرض منها
 عامر مسكون معلوم وعامر مسكون غير معلوم وخراب مجهول غير
 مسكون وإن عظم المسكون المعلوم منها العرب وفارس والروم
 والهند وهم ذوو الآداب والأخلاق من سائر أهل الأرض
 لهم السير والسُنن والآيين والحكمة والمهبة والنظر والحصال
 المحمودة والعلوم الماثورة من الطب والتنجيم والحساب والخط
 والهندسة والفراسة والكهانة والأديان والكتب وغير
 ذلك مما يستعملونها في معاملاتهم وموضوعاتهم وما سواهم
 رِعَاعٌ وهِمَجٌ سافلوا الرتبة عن رب من قدمنا ذكرهم
 ونافقوا الحظ من حظوظهم إما بهيئ الطبع في قلة التمييز
 والفتنة وإما سبعية في الجفوة والغلظة حتى أن منهم من
 ينزوي بعضهم على بعض ومنهم من يأكل بعضهم بعضاً لعل
 قد ذكرها القدماء ليس. هذا موضع شرحها بقول الله سبحانه
 وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ^١ ثم إن هذه الأمم^٢ المحمودة أخلاقهم مع
 اختلاف أصنافهم واقتراق ديارهم وتفاوت آرائهم في المذاهب

^١ Ms. ذو.

^٢ Qor., ch. XVI, v. 8.

^٣ Ms. الأمة.

التي ابتجلوا والأديان [١٢ ٧] التي اعتقدوا لم يختلفوا في وجود آثار الصانع الحكيم في هذا العالم وما يشاهدونه في أجزائه وأبعاضه واختلاف طباعه وتعاقب أعراضه فإذا صح وجود الباري الأزلي القديم الأول السابق ببدائه العقول وشهادة النفوس واضطرار الفطرة وألجاء الخلقة بذلك بني تأسيسهم وعليه بني تركيبهم إلا من شذ من جاهل أو جاحد مؤوف في نفسه أو مغلوب على عقله إذ غير مفهوم ولا موهوم أثر من غير موثر ولا صنع من غير صانع ولا حركة من غير محرك كما يحدد الضرورة وجود كتاب بلا كاتب وبناء بلا بانٍ وصورة بلا مصور فسبحان من لا انتهاء له إذ لا ابتداء له منه البداية وإليه النهاية مُبدع القوى وممدد المواد وسابق العلل ومنشئ البسائط ومركب العناصر وحافظ النظام ومدبر الأفلاك ومحدث الزمان والمكان ومحيل الأركان الحكيم العدل القائم بالقسط الناظر للخلق البرئ من المعائب الغني عن اجتلاب المنافع مدبر الأمور ومدبر الدهور أرخى على الأوهام ستور ربوبيته وضرب على مطالع العقول حجب إلهيته فليس يُعرف إلا بما عرّف به الخلق نفسه ولا يُدرك أحدٌ

من صفاته كنهه الأبصارُ عن بدائع صنعه خاسته والبصائرُ
عن ملاحظتها نابتة والقلوبُ في آثار الدلائل عليه حائرة
والنفوس مع حيرة القلوب إليه والهة والعقول عند فحافة
الاشراف عليه مضحكة متلاشية مبهود في كل زمان معروف
بكل لسان مذكور بكل اللغات موصوف بتضاد الصفات ليس
كشئ شئ وهو السميع البصير نحمده على ما هدانا ولدينه
اجتباناً ونشهد ان لا اله الا الله نتميز به عن المشركين
ونتزيّل عدد الجاحدين ونشهد ان محمداً عبده ورسوله
أرسله بالهدى ودين الحق غير حادس ولا ساحر ولا كاهن ولا
شاعر ولا محتال ولا متنبٍ كذاب ولا مريد دنيا ولا قائل
بالهوى فأبلغ وأدى وانذر وأهدى وصدع بأمر الله
حتى أتاه اليقين فصلوات الله على روحه غادية وبركات^١
رحمته مترادفة على آله اجمعين ، هذا التحييد الذي وجب
أن نصدر به كتابنا نخرناه الى حيث قدرنا انه أولى به
وأليق ، ومن الدليل على اثبات الباري سبحانه وآله النفوس
وفزع القلوب إذا حزبت الحوادث إليه اضطراراً إذ لا يوجد

^١ Lisez بركات ؟

مضطّر وقد عضّته نائبة ولدغته ناكبة يفزع الى
 حجر أو شجر أو مدد أو شئ من الخلائق إلا اليه ويدعوه بما
 هو معروف عنده من اسم او صفة هذا مشاهد عياناً كما تفرع
 النفس عند المكاره المخوفة إلى طلب المهرب والنجاة وكما
 يفزع الطفل الى ثدى أمه ضرورةً وخلقةً كذلك الله في
 معرفة خلقه إياه لأن أثر الدلالة في الخلق عليه أعظم
 من أثر الطبع إلى مالا يلائمه وينافره ولا يمكن المجد المنكر
 وإن غلا وتعتق في الإلحاد الامتناع^١ في معرفة الله وأجراً
 ذكره واسمه على لسانه شاء أم أبى في حال عمده ونسيانه
 لأن قلبه ولسانه على ذلك الخلق كما أن طبعه على الميل
 الى المحبوب والازورار عن المكروه حيل^[٣ ١٣ ٤] ومن الدليل
 على اثبات الباري جلّ وعزّ أنه لا يخلو لسان أمة من الأمم
 في أقطار الأرض وآفاقها إلا وهم يستونونه بنحواص من
 أسمائه عندهم ومستحيل وجود اسم لا مستى له كاستحالة
 وجود دليل على غير مدلول عليه بل المدلول موجب لدليل
 كذلك المستى موجب الاسم وما هو في التمثيل إلا بمنزلة

١. والامتناع Ms.

الحامل والعرض المحمول فكما يستحيل وجود عرض إلا في
 جوهر كذلك يستحيل وجود اسم إلا لسمي فمن ذلك
 قول العرب له الله مفردا من غير أن يشاركوه في هذا الاسم
 بأحد من معبوداتهم لآله خاص لهم عندهم وكانوا يطلقون
 على غيره على التكثير وأما الرب بالتعريف والرحمن فلم
 يكونوا يميزونه إلا لله تعالى وإنما تسمى 'مسيلة الكذاب
 بالرحمن مضادة لله جلّ وعزّ ومماندة لرسوله عليه السلم ذلك
 مشهور مستفيض في قوافي أوائلهم قبل قيام الإسلام فمن
 ذلك قول بعضهم في الجاهلية [طويل]

أَلَا ضَرَبْتَ تِلْكَ الْفَتَاةَ هَجِينَهَا أَلَا قَطَعَ الرَّحْمَنُ مِنْهَا يَمِينَهَا
 فأضاف فعل القطع الى الرحمن لآله أراد به الدعاء
 وعلم أنه لا يجب الدعاء إلا لله وقول أمية بن ابي
 الصلت [بسيط]

وَالْحَيَّةُ الْحَنَفَةُ الرَّقْشَاءُ أَخْرَجَهَا مِنْ جُحْرٍهَا آيَاتُ اللَّهِ وَالْقَسَمُ
 إِذَا دَعَا بِأَسْمِهِ الْإِنْسَانُ أَوْ سَمِيَتْ ذَاتَ آيَاتِهِ يُرَى فِي سَفِينِهَا ذَرَمُ

وإنما أثبتنا بهذا البيت حجة لإثبات اسم الإلهية لا لرؤية
الحية وقول زيد بن عمرو،
[طويل]

إِلَى اللَّهِ أَهْدَى مِذْحَى وَثَنِيَا^١ وَقَوْلَا رَصِينًا لِابْنِي الدَّهْرِ بَاقِيَا
إِلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ إِلَهٌ وَلَا رَبٌّ سِوَاهُ مُدَانِيَا

وقول فارس هرمز وايزد ويزدان ويزعمون أن عبادتهم النار
يقرب إلى الباري عز وجل لأنها أقوى الإسطقات وأعظم
الأركان كما قال مشركوا العرب في عبادتهم الآوثان ما
نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زُلْفَى ولا يجوز أن يكون غير
هذا حالة من يعبد شيئاً من دون الله لأنه يعلم أن
معبوده من خشب أو حجر أو نحاس أو ذهب أو شيء من
الجواهر غير خالقه ولا صانه ولا مدبر أمره ولا محوله ولقد
دخلت بيت نارخوز وهي كورة من كور فارس قديمة
البناء وسألتهم عن ذكر الباري في كتابهم فأخرجوا
إلى صُحُفًا زعموا أنها الأبسطا وهو الكتاب الذي جاءهم
به زردشت فقرأوا على لسانهم وفسروه على فهمهم الفارسية

١. ثنانيا Ms.

فيكمازهم بهسته هرمر وبشتاسبندان فكمازهم رستخيز قالوا
وهرمز هو الباري بلسانهم وبشتاسبندان الملائكة ومعنى
رستخيز فني فقم وقول الأعاجم بلسان الدرية خدای
وخداوند وخدايكان وقد سمعت غير واحد قال في تأويله
خدست وخوذبوذ منماه آله هو بذاته لم يكونه مكوّن
ولا يحدثه محدث وقول الهند والسند شيتاوابت ومهاديو
وأسماء كثيرة غير هذه يصفونه بخواص افعاله [٢٠ 13 ٩] وقول
الزنج ملاكوى وجلوى قالوا منماه الرب الاعظم وقول
الترك بير تنكرى يعنون الرب واحد وزعم بعضهم أن تنكرى
اسم لحضرة السماء فإن كان كما ذكروا فإنهم قد امنوا
بالمعنى المطلوب من الإلهية وأنما شكوا في الصفة وقال
بعضهم تنكرى هو السماء واسم الباري عندهم بالغ بايات
منماه الغنى الاعظم وقول الروم والقبط والحبة وما يدانيها
من البلدان بالسريانية لأن عاقمتهم نصارى لاهى ربا قدوسا
ولا فرق بين السريانية والعربية إلا في أحرف يسيرة فكأن
السريانية سلخت من العربية والعربية سلخت من السريانية
وقول اليهود بالعبرانية ايلوهم ادناى اهيى شراهيى

ومعنى ايلوهم الله واول^١ التوروية برشيت بارا ايلوهم
يقول اول شئ خلقه الله هذا الذى عليه معظم الأمم
والأجيال من أهل الكتاب وغيرهم فاما أقاطيع الناس في
مجاهيل الأقاليم فمن يحيط بلغاتهم إلا الذى خلقهم وقسم
بينهم ألسنتهم وسمت^٢ قومًا من برجان يسمونه ادقوا فسألتهم
عن اسم الصنم فقالوا فع وبألت القبط من صعيد مصر عن
اسم البارئ بلغتهم فزعموا احد شناق كذا ظنى والله أعلم،
ومن الدليل على إثبات البارئ سبحانه هذا العالم بما فيه
من عجيب النظم وبديع الترتيب ومحكم الصنع ولطيف التدبير
والاتساق والاتقان فلا يخلو من ثلاثة أوجه إما أنه لم يزل
كما هو وإما أنه لم يكن فكان بنفسه وإما أنه كونه مكوّن^٣
هو غيره فلما استحال ان يكون قديمًا لم يزل لمقارنة الحوادث
إياها وإن لم يخل^٤ من حادث فحادث مثله واستحال ان يكون
الشئ نفسه لاستحالة الكائن أن يبقى نفسه فكيف يجوز توهم
المعدوم من أن يتركب فيصير عالمًا لم يسبق غير الوجه الثالث
وهو أن كونه مكوّن^٥ هو غيره غير معدوم ولا محدث وهو

^١ Ms. répété deux fois.

البارئ جلّ جلاله واعلم ان البارئ عز وجلّ ليس بمحسوس
فيحصره الحواس ولا معلوم بالإحاطة فيدرك كيفيته وكميته وأنيته
ولا مقيس بنظير له أو شبهه فيعلم بأكثر الظن والحزر ولا
موهوم بصورة من الصُور لكنّه معروف بدلائل أفعاله وآيات
آثاره موجود في العقول لا غير ولا تُوجد آثاره وأفعاله إلّا في
خَلْقِه ومن الدليل على إثبات البارئ سبحانه تفاضل الخلق
في الدرجات والطباع والمهم والإرادات والصُور والأخلاق
وتمايز الأشخاص والأنواع من أجناس الحيوان والنبات فلو
انها مكوّنة^١ بالطباع لاستوت أحوالها وتكافأت أسبابها
وكانت تكون في انفسها مختارة ولما يُوجد فيها ناقص ولا عاجز
ولا مذموم ولا متأخر عن درجة صاحبه فلمّا وجدنا الامر
بمخلافه علنا أنّ مدبراً دبره ومرتباً رتبّه وهو البارئ سبحانه،
وقد قلنا في صدر هذه المقالة ان عدد الدلائل عليه
تعالى وتقدّس غير محصاة ولا متقصّاة لأنك لو عمدت الى
أصغر شخص من أشخاص الحيوان وأعملت فكرك في تعداد ما
يوجدك من آثار صنّع الصانع فيه لرجعت حسيّاً عَيّاً

^١ مكوّن. Ms.

وَأَعْجَزْتُكَ حُجَجَ الْبَارِئِ جَلَّ وَعَزَّ وَحَيْرَتُكَ آثَارُ صُنْعِهِ وَذَلِكَ
 فِي الْمَثَلِ كَنَاطِرٍ فِي بَعُوضَةٍ أَوْ غَمَلَةٍ [٢٤ ١٤] أَوْ ذُبَابٍ كَيْفَ بَنَى
 الْبَارِئُ جَلَّ وَعَزَّ جِسْمَهُ فِي لُطْفِهِ وَصَفَرِ أَجْزَائِهِ وَكَيْفَ أَطْلَقَ لَهُ
 الْقَوَائِمَ وَالْأَجْنَحَةَ وَكَيْفَ رَكَّبَ فِيهِ مِنَ الْأَعْضَاءِ مَا لَوْ فُرِّقَتْ
 لَمَّا كَانَ الْطَّرْفُ يَدْرِكُهَا وَلَا الْوَهْمُ يَمَسُّهَا وَلَا الْحَاسَةُ تَحْدُهَا وَكَيْفَ
 رَكَّبَ فِيهِ مِنَ الطَّبَائِعِ مَا تَمَّ بِهِ قَوَامُ أَرْكَانِهِ وَاسْتَوَاءُ نِظَامِهِ
 وَكَيْفَ أَوْدَعَهُ مَعْرِفَةً مَا فِيهِ صَلَاحُهُ مِنْ طَلَبِ مَنَافِعِهِ وَاجْتِنَابِ
 مُضَارِّهِ وَكَيْفَ سَلَكَ فِي جَوْفِهِ مَدَاحِلَ غِذَائِهِ وَمَنَافِذَ طَعَامِهِ
 مَعَ نَخْفَةٍ جِسْمِهِ وَقَلَّةِ ذَاتِهِ وَكَيْفَ حَمَلَ عَلَيْهِ الْأَعْرَاضَ وَصَبَّغَهُ
 بِالْوَانِ الصَّبِغِ وَكَيْفَ رَكَّبَ الْحَرَكَةَ وَالسَّكُونَ وَالْاجْتِمَاعَ
 وَالْإِفْتِرَاقَ وَالصَّوْتِ وَالصُّورَةَ وَكَيْفَ رَكَّبَ فِيهِ الْعَيْنَ بَلْ كَيْفَ
 رَكَّبَ فِي عَيْنِهِ الْبَصَرَ هَذَا فِي صِفَاتِ هَوَامٍّ مَا يَتَوَلَّدُ وَإِنْ كَانَ
 طَبْعُ الزَّمَانِ عَلَةً لِبَشِهِ وَإِثَارَتُهُ فَانِهِ لَمْ يَتْرَكْ هَذَا
 التَّرَكِيبَ الْعَجِيبَ وَالنَّضِيدَ الْأَتِيقَ إِلَّا مِنْ تَدْبِيرِ قَادِرٍ
 حَكِيمٍ وَكَذَلِكَ لَوْ نَظَرَ إِلَى أَدُونِ نَبْتٍ مِنَ النَّبَاتِ وَمَا جُمِعَ
 فِيهِ مِنْ اخْتِلَافِ أَلْوَانِهِ مِنْ نَوْرِهِ وَوَرَقِهِ وَفَرْقِهِ وَجَذْعِهِ
 وَعَرْقِهِ وَاخْتِلَافِ طَعُومِ أَجْزَائِهِ وَرَائِحَتِهَا وَمَنَاقِبِهَا وَمُضَارِّهَا

لدلّ ذلك على تدبير قادر حكيم وكيف لو رجع الى نفسه
 فنظر الى كمال صورته وحسن هيئته^١ واعتدال بنيته مع ما
 خُصّ به من الحكمة والعلم والفتنة والبحث والفكرة
 بلطيف الأمور وجليلها وحذقه بأنواع الصناعات وحسن
 اهتدائه اليها وخبرته بالأمور الفاضلة واستيلائه على جميع
 الحيوان بفضل عقله وزيادة فطنته ثم هو مع ما وصفناه به من
 الكمال والتمام مبنى^٢ على الضعف والحاجة إلى ما صغير ما في
 العالم وكبيره مضمن بالنصب والتب عاجز عن دفع ما يحلّ به
 من الآفات جاهل بأسباب كونه وتصرفه في نشوه
 ونمائه وزيادته ونقصانه محتاج الى ما يقيمه ويعينه لدّله
 ذلك على تدبير قادر حكيم وكذلك إذا نظر إلى هذا
 العالم وما يرى فيه من شواهد التدبير وآثار التركيب في الهيئة
 والشكل والصُور مع اتصال بعضه في بعض وحاجة بعضه إلى
 بعض من اعتقَاب الحرّ والبرد واختلاف الليل والنهار واتّفاق
 الأركان وتقاومها على تضادّها وتباينها علم أنّه من تدبير

^١ حياته. Ms.

^٢ منى. Ms.

قادر حكيم ولو جاز لتوهم ان يتوهم حدوث هذا العالم من
 غير محدث لجاز لغيره أن يتوهم وجود بناء من غير بانٍ وكتابةٍ
 من غير كاتب ونقش من غير نقّاش وصورة من غير مصوّر
 ولساغ له إذا نظر الى قصر مشيد وبناء وثيق أن يظن أنه
 انساب إلى كومة من التراب مجتمعة لم يجمعها جامعٌ فاختلط
 بها من غير خالط حتّى التفت ونديت ثم انسبكت لبناً على
 أكمل التقدير وآانق التربيع من غير سابق ولا ضارب ثم
 تأسس أساس القصر وتمكنت قواعده وارتفعت ساقاته
 وأعراقه حتّى إذا تطاولت حيطانه وتكاملت أركانه
 وتطارت اللبن وتراكت على حواشها وتناضدت أحسن التراكم
 والتناضد ثم تساقطت الجذوع والجوائز من أشجارها على قدر
 البيوت والحطط والمحتطة للأبنية بلا حاصد لها ولا عاضد ثم
 انتجرت بلا ناجر [٢٠ 14 ٢] وانتشرت بلا ناشر واسفتت بلا
 سافن فلما تهيأ منه الكمال واستقام المائل ترقمت بأنفسها
 فانغرزت في منارزها وتسقفت فوق بيوتها وفاقت أساطينها
 تحتها ثم انطبقت عليها صفائحها وانتصبت أبوابها فانغلقت
 بذاتها ثم تكلس القصر وتيسّع وتباط وتخصّص وتنشّ بأنواع

التزويق والنقوش واستوى أمره وشاد بناؤه واجتمع متفرقه
على أحسن التقدير وأكمل التدبير حتى لا تمرى منه ناحية ولا
لبنة ولا قصبة إلا ومفهوم الناظر إليه موضع الحكمة والحاجة
إليه من غير فاعل فله ولا صانع صنعه ولا ساع سعى فيه
ولا مدبر دبره وكذلك^١ لو نظر الى سفينة مشحونة موقرة
بألوان الحمولات وأصناف السلع راصدة في لجة البحر او
سائرة انها تركبت ألواحها وأعضادها وتسمرت مساميرها
ودُسرها وانضمت حتى اسقنت بذاتها ثم نقلت الحمولة إلى
نفسها حتى امتلأت ثم ركدت في الماء فسافت عند الحاجة
وكذلك لو نظر الى ثوب منسوج او ديباج منقوش انه
انحليج قطنه وخلص قزه ثم انغزل وانفتل وانصبغ والتأمت
الوشائع^٢ وامتدت الاشرع والتقت الى منوالها وانضمت الحيوط
بعضها الى بعض فانتسج وانتقش فاذا لم يُجزَ هذا المتوهم
فكيف يتوهمه على هذا العالم العجيب النظم الباهر التركيب
فان ذهبَ ذاهبٌ إلى الفرق بين تركيب العالم وتركيب

^١ وذلك. Ms.

^٢ الوشائع. Ms.

ما يركبه الإنسان بأن المادة لم تجوّز بابتداء الدور وانتشاج
 الأثواب وانصبغ الأواني ولم يوجد مثل ذلك في الامتحان
 والطبائع قيل فكيف جوّزتم ما هو أعجب مما ذكرنا واعظم
 من غير فاعل مختار ولا حكيم قادر فإن زعم أن تركيب
 هذا العالم على هذا النظم ولتركيب^١ من فعل الطبائع فالطبائع
 إذا أحياء قادرة حكيمة عالة ولم يبق بيننا وبينه من الخلاف
 الى تحويل الاسم وتغيير الصفة وإن انكر حياة الطبيعة
 وحكمتها وقدرتها فكيف يجوز وجود فعل محكم متقن من غير
 حكيم حي قادر فإن زعم بالحدّ والاتّفاق على هذا الاتّفاق
 غير موهوم وإنما وقوعه في النوادر ولوجاز ذلك لجاز أن من
 له ساحة ولا بناء فيها ولا عمارة يتفق اتفاق ليلة فتصبح
 مبنية دوراً مفروسة اشجاراً على احسن الابنية واعجب التركيب
 ولا يحصى للملحد من حجج الله وآياته فكيف وهو حجة
 بنفسه ولغيره وليس نورد من هذا الباب هاهنا إلا ما يضاهاى
 الفصل وما يصحّ ويمجّل دون ما ينض ويصدق لأن من عزمنا
 أن نبالغ في الاستقصاء والإيضاح لهذه المسائل في كتاب

١. والى بت Ms.

سميَّناه بالديانة والامانة شكراً لمن أنعم علينا بالتوحيد ومناضلة
عن الدين وتبصراً للمستبصرين ومن عند الله التوفيق ، واعلم
أنه لو جاز أن يُوجد شيء من الأجسام لا من خلق الله لجاز
أن يوجد عارياً من دلالة عليه. فإذا لم يوجد إلا من خلقه لم
يمخل من دلالة عليه فإن قيل وكيف يعلم أنه مصنوع
مخلوق قيل بآثار الحدث فيه فإن قيل فما آثار الحدث قيل
الأعراض التي لا ترى الجواهر منها من الاجتماع والافتراق
والحركة والسكون واللون والطعم والرائحة وغير ذلك فإن
انكر الأعراض وحدوثها كلّم بما ذكرناه في موضعه [٢٥ ١٥ ٢٥] من
الفصل الأول فبحدوث الأعراض يصح حدوث الأجسام
وبحدوث الأجسام يصح وجود الحدث الباري لها سبحانه
ولقد قرأت في بعض كتب القدماء ان ملكاً من ملوكهم سأل
حكيماً من الحكماء ما أدلُّ الأمور على الله فقال له الدلائل
كثيرة وأولها مسئلتك^١ عنه لأن السؤال لا يقع على لا شيء
قال الملك ثم ما ذا قال شك الشاكين فيه فأنما
يُشكّ فيما هو لا فيما لا هو قال الملك ثم ما ذا قال وله

^١ مَسْأَلَتَكَ Ms.

الظن^١ إليه الذي لا يستطيع الامتناع منه قال الملك زدني قال
 حدوث الأشياء، وتنقلها على غير مشيئتها قال زدني قال الحياة
 والموت اذان يسميهما الفلاسفة النشؤ والبلَى فليست واجداً
 احداً أحيا نفسه ولا حياً إلا كارهاً للموت ولن ينل^٢ منهم
 يعنى لا ينجو قال زدني قال الثواب والعقاب على الحسنة
 والسيئة الجاريان على السنة الناس قال زدني قال أجد
 مزيداً، وجاء في الأخبار ان بنى اسرائيل اختلغوا في هذا
 الباب ففرزوا الى عالم فسألوه يَمَ عرفت البارئ قال بفسخ
 العزم ونقض الهمة وكتب الله المنزلة مملوءة بدلائل
 الاثبات والتوحيد تأكيداً للحجة لأنه موضوع في نفس
 الفطرة وخاصة القرآن وقال الله لرسوله حيث سُئِلَ عن
الدلالة عليه إن في خلق السموات والأرض واختلاف
الليل والنهار والفلك التي تجري في الجبر بما ينفع الناس وما
أزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها
وبث فيها من كل دابة وتحريف الرياح والسحاب المسخر

^١ Ms. النظر.

^٢ Ms. ل.

بين السماء والأرض لآياتٍ لقومٍ يعقلون^١ فدل على نفسه
 بخواص أفعاله ومعجزات آثاره التي لا سعى لغيره في شيء
 منها وقال ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين^٢ ثم
 جعلناه نطفة في قرار مكين^٣ إلى قوله فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ
 الْخَالِقِينَ^٤ هل ترى أحداً يدعى فعل شيء من ذلك وقال
 آمَنُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
 فَانبتنا به حنائق ذات بهجة ما كان لكم أَنْ تُنبِتُوا
 شَجَرَهَا أَلِلَهُ^٥ مع اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ، آمَنُ جَلَّ الْأَرْضِ
 قَرَارًا وجَلَّ خِلَالَهَا أَنهَارًا وجَلَّ لها رَوَاسِي وجَلَّ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ
 حَاجِزًا أَلِلَهُ^٥ مع اللَّهِ إلى آخر الآي الخمس وقوله أَفَرَأَيْتُمْ
 مَا تُمْنُونَ، أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ^٦، دلهم على
 نفسه بضعه بإعجازهم في آخر الآيات فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ
 مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ^٧ وتكاف غير ما

^١ Qor., sour. II, v. 159.

^٢ Qor., XXIII, v. 12-13.

^٣ Ibid., v. 14.

^٤ Qor., XXVII, v. 61 et suiv.

^٥ Qor., sour. LVI, v. 58-59.

^٦ Ibid., v. 85-86.

في كتاب الله فضل لآله معرض ممكن لمن تدبره وتأمله
وقال وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ انكم توجدوها ولم
تحدثوها ولستم تملكون شيئاً من أمرها من الصحة والسقم
والشباب وقال سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وفي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى
يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ يعني بما ضمنها من آثار الصنع
وشواهد التدبير ودلائل الحدث ودوينا في حديث أن رجلاً
سأل محمد بن عليّ أو ابنه جعفر بن محمد يا ابن رسول الله هل
رأيت ربك حين عبدته فقال ما كنت لا أعبد رباً لم
أره فقال الرجل وكيف رأيته قال لم^١ تره العيون بمشاهدة
العيان ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان لا يدرك
بالحواس ولا يقاس بالقياس^٢ معروف بالدلالات موصوف
بالصفات له الخلق والأمر يُعزّز بالحق ويُذلل^٣ [f° 15 v°] بالعدل
وهو على كل شيء قدير وسئل عليّ بن الحسين رضي الله عنهما
متى كان ربك قال ومتى لم يكن ربنا وحكي عن بعض

^١ Qor., LI, v. 21.

^٢ Qor., XLI, v. 53.

^٣ Ms. ألم.

^٤ Ms. بالناس.

الحكماء أنه كان يقصر^١ الناس على هذا القدر من التوحيد ولم يخصص لهم الخوض في أكثر منه فيقول التوحيد أربعة أشياء معرفة الوحدانية والإقرار بالربوبية وإخلاص الالهية والاجتهاد في العبودية وكانت حكماء العرب في كفرها وجاهليتها يُشيرون إليه في أشعارهم ويمدحونه بالآل^٢ ونعمائه فمن ذلك قول زيد بن عمرو بن نفيل [طويل]

وَأَنْتَ الَّذِي مِنْ فَضْلٍ مِنْ رَحْمَةٍ	بَشَتْ إِلَى مُوسَى رَسُولًا مُنَادِيَا
فَقُلْتَ لَهُ فَأَذْهَبْ وَهَارُونَ فَادْعُو	إِلَى اللَّهِ فَرَعُونَ الَّذِي كَانَ طَاغِيَا
وَقُولَا لَهُ أَنْتَ سَمَكْتَهُ هَذِهِ	بَلَا عَمْدٍ حَتَّى أَسْقَرْتَ كَمَا هِيََا
وَقُولَا لَهُ أَنْتَ سَوَّيْتَ هَذِهِ	بَلَا وَتَدٍ حَتَّى أَسْقَرْتَ كَمَا هِيََا
وَقُولَا لَهُ مَنْ يُرْسِلُ الشَّمْسَ غُدْرَةً	فَتَصْبِغُ مَا مَسَّتْ مِنَ الْأَرْضِ صَاحِيَا
وَقُولَا لَهُ مَنْ يَنْبِتُ الْحَيَّ وَالْأَثَرِ	فَتَصْبِغُ مِنْهُ الْبَقْلَ يَهْتَزُّ رَاسِيَا

وكان يقول [متقارب]

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ لَهُ الْأَرْضُ يَحْمِلُ صَخْرًا ثَقَالَا

^١ بتصير Ms.

دحاها فلما رآها أَسْتَوَتْ على الماء أَرَسى عليها الجبالا
وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ له التُّرْنُ تَحْمِلُ حَذْبًا زَلَالًا
إِذَا هِيَ تُرْقَتُ إِلَى بَلَدَةٍ اطَاعَتْ فَصَبَّتْ عَلَيْهَا سَجَالًا

فجعل يصفه بالصفات التي يُعَجِّزُ عنها المخلوقون معرفةً منه
بإستحالة فعل لا من فاعل وأذكرُ أُنَى سألتُ بعضَ
الأعاجم بنواحي سنجار على نواحي المُزاح والمهاذلة إذ كنتُ
أراه جلف الجثة ثقيل اللهجة ما الدليل على أن لك خالقًا
قَبَالَ عَجَزَى عن خلق نفسى فكأنما أُلْقِمْتُ حَجَرًا وما شَبَّهْهُ
إلا بمخير عامر بن عبد قيس إذ خرج عليه عثمان بن عفان رضى
الله عنه وهو فى شملة اشعث اغبر فى زى الأعراب فقال
أين ربك يا اعرابي قال بالمرصاد فهال ذلك عثمان فارعد
له ومن ذلك قول صرمة بن انس بن قيس قبل
الإسلام [خفيف]

وله الراهب الحبيس تراه رَمَنْ يُؤْنِسُ وَكَانَ نَاعِمٌ بِالْ
وله هوْدَت يهوْدُ وكانت كُلَّ دِينٍ وَكُلَّ أَمْرٍ مُضَالِ
وله شمس النصارى وقاموا كُلَّ عِيدٍ لَهُمْ وَكُلَّ احْتِفَالِ

ونه الوَحْشُ في الجبال تراه في حِفاف وفي ظلال الرمال

[٢٠ ١٦ ٣] يعني أن من مخافته هُودت اليهود وحبست الرهبان
أنفسها في الصوامع ومن دلائله عرفت الوحوش منافعها
ومناكمها وليست بذات عقول مميزة وإنما يعرفه كل واحد
بمقدار فهمه وكيفية استدلاله وانشدني النهريبندي في
جامع البصرة [طويل]

وَكُوْ حَلَّ اقْطَارَ السَّمَاوَاتِ عَاقِلٌ أَوْ احْتَلَّ فِي أَقْصَى بِلَادٍ ثَبَاعِدُ
وَلَمْ يَرَ مَخْلُوقًا يَدُلُّ عَلَى هُدًى وَلَمْ يَأْتِهِ وَخًى مِنْ اللَّهِ قَاصِدُ
وَلَمْ يَرَ إِلَّا نَفْسَهُ كَانَ خَلْقُهَا دَلِيلًا عَلَى بَارٍ لَهُ لَا يُعَانِدُ
دَلِيلًا عَلَى إِبْدَاعِهَا وَاخْتِرَاعِهَا مُنِيرًا عَلَى مَرِّ الدَّهْرِ يُشَاهِدُ

وفي هذا المقدار مقنعٌ وبلاغ لمن ناصح نفسه وأعطى النصفة
وجانب الجحود والعنود ومن لم يجعل الله له نوراً فما له
من نورٍ وإذا صحَّ اثبات الباري ووجود الصانع فلنقل الآن في
صفاته

القول في جواب من يقول من هو وما هو وكيف هو

أقول ان السؤال عن المائنة والمئنة والهوية محال من وجه
التفتيش عن ذاته لأن الإشارة الى هذه الاشياء تصورها في
الوهم ولا يتصور في الوهم غير محدود أو نظير محسوس وهذه
من صفات الحدث فيما أن اراد السؤال عن إثباته واثبات
صفاته فلا وذلك كقائل يزعم أنه قد ثبت عندي وجود
البارئ سبحانه فما هو فالجواب الصواب انه هو الاول
والآخر والظاهر والباطن القديم الخالق حتى يُمدَّ جميع أسمائه
وصفاته فإن زعم انه سأل عن هوية ذاته قيل غير
محسوسة ولا موهومة ولا معلومة بالإدراك والإحاطة فإن زعم
ان هذا من صفاته اللاشئ والبطلان فهذا من وساوس الجهل
وهذان الخطل ويكلم في ايجاب الصنعة الصانع والفعل الفاعل
بما قد سبق ذكره فان طلب نظيراً أو شبيهاً بهذه الصفات
فهذا يكلفنا ان نتخذ إلهين^١ اثنين محسوساً وغير محسوس ثم
نشبه الغائب بالشاهد ليتحققه وما من إله إلا إله واحد
وليس يجب علم ما تيقناه لجهل ما جهلنا ألا ترى أننا اذا
آتسنا شخصاً في السواد ولم نعلم ما هو ومن هو لم يجب ان

١. الالهين . Ms.

تُبطل علمنا في ذات الشخص بما خفى علينا من بعض هيئاته
كذلك لما قامت الدلالة ان يستحيل وجود فعل لا من
فاعل ثم وجدنا فعلاً لم نشاهد فاعله لم يجب ان تبطل علمنا
البديهي مبهمنا وقد سُئل رسول الله صلعم عن هويته فنزل
الجواب في صفاته قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدُ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ
يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ^١ فأخبر أنه أحد لا كأحد
وصمد لا كصمد لم يلد ولم يولد يعني الملائكة وسائر الناس
من الخلائق الروحانيين بقوله ولم يكن له كفواً أحد
فنفي النظير والشبيه عنه وقال الرسول عليه السلام فيما رُوي
لرجل من الأعراب سأله عنه هو الذي اذا مسك ضربه
فدعوته أجابك واذا أصابتك سنة فدعوته امطر السحاب
وانبت النبات [١٦٣] واذا ضللت راحلتك بفلاة من
الارض فدعوته ردها اليك فجعل يدل على ربه بدلالة
فعله وشهادة الكتاب تُغني^٢ عن طلب الأسانيد لمثل هذه
الاخبار بقول الله تعالى آمن يجب المضطر اذا دعاه ويكشف

^١ Qor., sour. CXII.

^٢ Ms. يغني.

السَّوْءُ^{*} وفي رواية المَثْبُورَى عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبي صلعم [قال] ان الشيطان يأتى أحدكم فلا يزال يقول له مَنْ خَلَقَ هذا فتقول الله حَتَّى يقول فمن خلق الله فاذا سمعتم ذلك فافزعوا الى سورة الإخلاص فقال ابو هريرة رضى الله عنه فيينا انا قاعد إذ أتاني آتٍ فقال مَنْ خلق السماء فقلت الله قال فمن خلق الأرض قلتُ الله قال فمن خلق الخلق قلتُ الله قال فمن خلق الله ففُتُّتُ وقلت صدق رسول الله صلعم قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد ولهذا نهى عن التفكر فيه إذ لا مَطْلَعَ للوهم والفكر عليه من طلب ما لا سبيل اليه رجع باحد الامرئين إما شاكاً وإما جاحداً والجحود والشك فيه كُفْرٌ وقد قيل تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق لأن الخلق يدلّ عليه والخالق لا يُدْرَك ولا أعلمُ أحداً من أصناف الخلق والأُمم إلا وهو مُقَرَّرٌ بوجود شئ فى الغائب خلاف الحاضر فمن ذلك قول الفلاسفة الميولى وانه خلاف الاجرام العلوية والسفلية ومنهم من يقول بحى ناطق لا يجوز عليه

^{*} Qur., sour. XXVII, v. 63.

الموت وهو لم يشاهده حياً ناطقاً إلا ميتاً ومنهم من قال
بأنّ جوهر الافلاك من غير الطبائع الأربع وهو لم يشاهد
شيئاً من عين الطبائع ومن قال بمواضع من الأرض يبلغ
طول النهار بها اربعة وعشرين ساعة ومواضع يغيب الشمس عنها
ستة أشهر وهو لم يشاهدها ومن قال بأنّ النطفة تنقلب
علقة والعلقة تنقلب مُضغّة ولم يشاهدها عياناً ومن قال
بأرض لا بتركب منها حيوان ولا نبات ومن قال من
الثنوية بنور خالص في الغائب وظلمة خالصة غير مماسّين
ولا ممتزجين وهو لم يشاهد جسمًا إلا مؤلفًا مركّبًا في أشياء
لهذا يطول الكلام بذكرها حتى تعلم ان قول القائل
لا شيء غير ما يباينه^١ ولا شيء غاب عنه الا كما يشاهده محال
باطل وبعد فانا نجد الحركة والسكون والاجتماع والافتراق
والفرح والحزن واللذة والكراهية والحب والبغض وغير
ذلك من كثير من الاعراض ولا يمكن صفتها بطول ولا لون
ولا عرض ولا ريح ولا طعم او صفة من الصفات ثم لم يجب
ابطالها لعدم صفاتها وكذلك العقل والفهم والنفس والروح

^١ يباينه Ms.

والنوم لا شك أنها أشياء ثابتة ولها ذوات قائمة من الاعراض ثم لا يُحاط بكميتها ولا بكيفيتها غير وجودها فاذا كانت هذه الأشياء قُربها مِنّا وتمكّنها فينا ونحجز عن الاحاطة بها ولم يحجز انكارها لوجوهها وكيف بُبَدِعها ومُنشئها ومُقيمها على مراتبها وكلّ صانع لا شك أعلى رتبةً من مصنوعاته وأرفع درجةً فان قال قائل سَوِّتَ بين صفات العقل والروح والنفس وسائر ما ذُكِرَت وبين الباري الذي يدعونا اليه وتساوى الصفات يوجب تساوى الموصوفات فما ينكر ممّن يزعم انه هو النفس أو العقل لا من الناس من يقول هو نفس [٢٠ 17 ٢٠] الخلاق ومنهم من يقول هو عقولهم قيل انما يجب تساوى الموصوفات إذا تساوت حدود الصفات فأما الألفاظ فمشتركة والمعاني مختلفة ألا ترى أنا نقول له هو ولغيره هو ونقول هو واحد ولغيره ممّا يتمييز من الأعداد واحد ونقول ذاته ولغيره من الحيوان والنبات ذواتها ونقول قال الله وفعل الله فقال فلان وفعل فلان لأنّ الألفاظ سَمَاتٌ للمعاني لا يمكن العبارة إلا بها فاذا جئنا الى التفصيل قلنا فَعَلُ الإنسان بمجارحةٍ وفِعْلُهُ ليس بمجارحةٍ وفِعْلُ

الانسان بآلةٍ وفعله ليس بآلةٍ وفعل الانسان في زمان
 ومكان وفعل الله قبل الزمان والمكان فعملٌ بقى بين
 القلّين من التشابه غير سمة اللفظ وهكذا سائر الأوصاف
 ثم من الدلائل على أن الباري جلّ جلاله ليس بالنفس
 ولا بالقل ولا بالروح كما ذهب اليه من ذهب ان الأنفس
 متجزئة قد فرقت بينها الهياكل والاشخاص والتجزئ تفرق
 والتفرق عارض ولا متفرق ألا ومتوهم تجمعه والتجمع عارض
 وقد يمش عائش ويموت مائت ولا يخلو من ان تبطل
 نفس بموت صاحبها أو ترجع الى كليتها او تنتقل الى غيره
 والبطلان والرجوع كلها اعراض وقد أوضحنا الدلالة على
 حدث الاعراض وهكذا القول في الأرواح على السواء
 وكذلك تفاوت القول واختلافها وما يعرض فيها من
 الحلل والنقص والسهو والغلط كلها من دليل الحدث وما
 العقل في قصور المعرفة إلا بمنزلة سنع الأذن وبصر العين وشه
 الأنف كلها موجودة غير معلومة الكيفية والكمية فان
 قيل أله هوية وإن لم نعلمها قيل الهويّة إضافة هو الى

معناه^١ وهو إشارة فإما معنى الهوية فالذات وإى لعمري له ذات عالمة سميمة بصيرة قادرة حية غير معلومة كيفيتها فإن قيل فهو عالم بذاته قيل له ليس هو غير ذاته فتكون معلومة له غير علمه ويكون له من ذاته علم ومعلوم وقد قال قوم انه هو الطبايع ومنه حدث العالم وتركبه فالطبايع أشياء متنافرة متضادة مقهورة مجبورة وهذه هي علامات الحدث ثم هي غير حية ولا عالمة ولا بختارة ولا قادرة فيصح منها هذه الافعال المحسنة المتقنة فان أطلقوا عليها هذه الصفات فى البارى بزعمهم وإنما غلطوا فى التسمية وإن آبوا فى النفل لا يصح إلا ممن هذه صفاته واختلف أهل الإسلام فى أشياء من هذا الباب فأنكر كثير منهم القول بالأنية والمائية ولا يخلون من أن يكونا إياه أو غيره أو بعضه فإن كانا غيره أو بعضه انتقض التوحيد وإن كانا إياه فهو إذا أشياء كثيرة وقال ضرار بن عمرو وأبو حنيفة رضى الله عنهما له أنية ومائية لأنه لا يكون شئ موجود إلا وله أنية ومائية وعلة الأنية غير علة

^١ معناها . Corr. marg., ms.

المائية وذلك انك تسمع الصوت فتعلم أن له مُصَوِّتًا
 وتجهل ما هو ثم تراه بعد ذلك فتعلم ما هو فيلنك ما هو
 غير علمك بأينيته ومعنى المائية عندهما انه يعلم نفسه
 بالشاهدة لا بدليل كما نعلم واختلف الشبهة فزعمت
 النصارى انه جوهر قديم وزعم هشام بن الحكم وابو جعفر
 الأحول الملقب بشيطان الطاق انه جسم محدود متناهِ وقال
 هشام هو جسم مُضَمَّتٌ له قدر من الاقدار من العرض
 كانه [١٧ ٣] سبكة تلالاً كالدارة من جميع اطرافها واحدة
 ليس بجوف ولا متخلخل وحكى عن مقاتل انه قال
 على صورة إنسان لحم ودم وسئل هشام كيف مبدوك فأوقد
 سراجاً وقال هكذا إلا أنه لا دُبالة له وقال قومٌ جسم
 فضاء مكان الاشياء كلها واكبر من كل شئ وقال قومٌ هو
 الشمس بينها وزعم قومٌ انه المسيح وقال قومٌ هو علي بن
 ابي طالب وذهب قومٌ إلى اشياء كثيرة متباعدة مختلفة القوى
 والفعل إلا ان بعضها مُتَّصِل ببعض وبعضها أعلى من بعض
 فأعلاها البارئ سبحانه ويزعمون انه لا جسم له ولا صفة
 ولا يُعرف ولا يُعلم ولا يجوز أن نُذكَر ودونه العقل

ودون العقل النفس ودون النفس الهيولى ودون الهيولى الأثير
ثم الطبايع ويرون كل حركة أو قُوّة حسّاسة أو نّامية منه وسيمرّ
بك النقض عليهم مجملًا في باب التوحيد ان شاء الله
وأحسن ما أختاره في هذا الفصل ألا يخوض الإنسان في شئ
منه إلا بإثبات الذات بدلائل الصفات فأما ما سوى ذلك
فيسكت عنه وليقتدِ نبيّ الله موسى حيث قال له الكافر
وما ربّ العالمين قال ربّ السموات والأرض وما بينهما ان
كنتم مُوقنين^١ هذا طريق السلامة فإِنْ سأل بعض مَنْ لا يعلم
كيف هو وأين هو وكم هو فإنّ كيف يوجب التشبيه ولا شبه
له وكم استخبار عن المدد وهو واحد وإِنْ طلب المكان
وليس بجسم فيُشغل الأماكن،

القول في أن الباري واحد لا غير أقولُ أنّه لما صحّ وجود
الباري بالدلائل العقلية وجب ان يُنظر أواحدٌ هو أم
أكثر لأنّ الفعل قد يفعله الواحد والاثنان وقد
يشارك الجماعة في بناء دار ورفع منار ونظرنا فاذا الدلائل
على وحدانيته بإدّاء الدلائل على إثباته وذلك أنّه

^١ Qor., sour. XXVI, v. 22-23.

لو كانا اثنين لم يخلُ من أن يكونا متساويين في القوة والقدرة والعلم والإرادة والقدم والمشيئة حتى لا يُفرق بينهما بصفة من الصفات فإن كانا كذلك فهذه صفة الواحد لا يثبت في القول غيره أو يكون أحدهما أقدم من الآخر وأقدر فألا إله إذا القديم القادر إذا العاجز الحادث لا يستحق الإلهية أو يكونا معًا متقاومين متضادين فاذن لا يجوز وجود خلق ولا أمر لآله لو كانا كذلك لم يخلق أحدهما خلقًا إلا أفناه الآخر ولم يُنحِ حيًّا إلا أماته الآخر فلما وجدنا الأمر بخلافه علمنا أنه واحد

قدير وهذا ضمن قول الله تعالى لو كان فيهما إلهة لفسدنا
فسبحان الله رب العرش عما يصفون^١ وقال قل لو كان

معهُ إلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبلاً^٢

ولو كانا اثنين لكانا قادرين على التمانع والتقاوم أو عاجزين عن ذلك فإن كانا قادرين لم يتصل تدبير ولم يتم وجود خلق وإن كانا عاجزين فوجود الخلق عن العاجز

^١ Qor., sour. XXI, v. 22.

^٢ Qor., sour. XVII, v. 44. Lisez سبلاً.

مُحالٌ أَوْ كَانَ أَحَدُهُمَا عاجزًا وَالْآخَرَ قَادِرًا فَيُحَوِّكُ مَا قَلْبَاهُ آتِفًا
 وَلَوْ جَازَ الْقَوْلُ بِاثْنَيْنِ لَوْجُودَ الشَّيْءِ وَضِدَّهُ لَجَازَ الْقَوْلُ بِعَدَدِ
 أَعْيَانِ الْمَوْجُودَاتِ لِاخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا وَأَنْوَاعِهَا وَأَنَّهَا تَمَامُ الْقُدْرَةِ
 جَوَازُهَا عَلَى الشَّيْءِ وَضِدَّهُ فَفَاعِلُ الشَّيْءِ إِذَا كَانَ عاجزًا عَنْ
 ضِدِّهِ غَيْرُ كَامِلِ الْقُدْرَةِ وَالْبَارِئُ عَزَّ وَجَلَّ دَلَّ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ
 بِإِبْجَادِ الشَّيْءِ وَضِدِّهِ وَمِنْ هَاهُنَا تَفَرَّقَتِ الْمَجُوسُ وَالشَّنَوِيَّةُ
 وَالذَّهْرِيَّةُ وَسَاثِرٌ فَرَّقَ الضَّلَالَةَ فَزَعَمَتِ الْمَجُوسُ بِأَنَّ فَاعِلَ
 الْخَيْرِ لَا يَفْعَلُ الشَّرَّ وَأَنَّ الشَّرِيرَ لَا يَفْعَلُ الْخَيْرَ لِأَنَّ الْجِنْسَ
 الْوَاحِدَ لَا يَقَعُ مِنْهُ إِلَّا الْفِعْلُ الْوَاحِدُ كَالنَّارِ لَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَّا
 التَّسْحِينُ وَالتَّلَجُّ لَا يَكُونُ مِنْهُ إِلَّا التَّبْرِيدُ [٢١٨ م] فَسَمَوْا إِلَهَ
 الْخَيْرِ هَرَمَزَ وَالشَّرِيرِ الْحَبِيثَ آهَرَمَنْ وَأَضَافُوا كُلَّ حُسْنٍ وَجَمِيلٍ
 وَفَعَلَ حَمِيدٌ إِلَى الْخَيْرِ وَكُلَّ قَبِيحٍ وَذَمِيمٍ إِلَى الشَّرِيرِ الْحَبِيثِ
 الْمَضَادَّ لَهُ ثُمَّ اجْتَبَلَفُوا بَعْدَ إِجْمَاعِهِمْ عَلَى أَنَّ الْخَيْرَ مِنْهَا قَدِيمٌ
 لَمْ يَزَلْ وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الشَّرِيرَ قَدِيمٌ أَيْضًا كَقَوْلِ الشَّنَوِيَّةِ
 بِقَدَمِ الْكَوْنَيْنِ مِنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ وَزَعَمَتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى أَنَّهُ
 حَادَثٌ ثُمَّ اخْتَلَفَ الَّذِينَ قَالُوا بِمَحْدُوثِ الشَّرِيرِ الْحَبِيثِ كَيْفَ

كان حدوثه فزعمت فرقة منهم أن القديم الخير تفكّر
فكرة رذلة فاسدة فحدث من فكرته هذا الحبث الشرير
وهذا نقض أصلهم بأن جوهر القديم جوهرٌ خير لا يشوبه
شئ من الشرور والآفات وزعم آخرون أن الخير هفا هفوة
فحدث منه هذا الضدّ بلا إرادة منه ولا مشيئة فحملوا الخير كالنود
الجاهل الذي لا يملك نفسه وأمره وقد أقرّ هذان الصنفان
بوقوع الشر من الخير المحمود ووجود جنسين مختلفين منه
فما حاجتهما الى إثبات فاعلين مختلفين فإذا جاز وقوع الشر
من هذا الخير المحمود فما يؤمنهم وقوع الخير من هذا الشرير
المذموم وزعمت فرقة ثالثة منهم انه لا يدري كيف
حدث هذا الشرير المنازع^١ للخير القديم فافصحوا بالحيرة
ونادوا على انفسهم بالشبهة وبمّ ينفصلون ممن يعارضهم إذا
جاز حدوث شرير فاعل للشرّ لِمَ لَمْ يُجْزْ حدوث خير فاعل
للخير حتّى يكون خالقهم اثنين حادثين وقد زعموا جميعاً أن هذا
الشرير كأيّد الخير ونازعه الأمر وجمع الخير جنوده من
النور والشرير جنوده من أباض الظلمة فاقتتلا مدةً من

^١ والمنازع Ms.

الدهر طويلة ثم تَوَسَّطَت الملائكة بينها ودَعَوَها الى
 الهُدْنَةَ والمَوادعة الى ان يضع بينها مدَّة سبعة آلاف سنة وهى
 مدَّة قوام العالم فاصطلحا على أن يكون أَكْثَرُ الأمر والحكم
 والعلبة فى هذه المدَّة المضروبة للجوهر الشَّرير فإذا انقضت
 المدَّة افضى الأمر الى القديم الخير فأخذ الشرير يستوثق منه
 إلى أن ينقضى عالم الشر والفتنة والفساد ويصير الحكم الى
 الخير المحض وهذا ظاهر الانتقاض والاختلاف وكيف
 تطمئن النفس الى عبادة عاجز مغلوب على أمر وكيف يؤمن
 الشرير الخبيث على الوفاء بالمهود والمواثيق وهل هى منه
 ألا أفضل الخير واتمَّ الاحسان فقد وُجد من جوهره الخير
 وهو من غير جنسه كما وُجد من جوهر الخير العجز والقلبة وهو
 شرّ وليس من جنسه واختلقت الثنويّة فزعم ماني وابن
 ابي العوجاء انَّ النور خالق الخير والظلمة خالق الشرّ وأنها
 قديمان حيّان حسّاسان وأنَّ فعلهما فى الخلق اجتماعهما وامتزاجهما
 بعد أن لم يكونا ممتزجين فحدث هذا العالم من نفس الامتزاج
 فأقرّا بمحادث حدث فى القديم من غير سبب أوجبه ولا إرادة
 منه فضاهاى المجوس فى قولهم أنَّ الخير حدث منه الشرّ بلا

إرادة منه ولا مشيئة وزعم ديصان ان النور حي والظلمة
 موات فاحال أشد الإحالة إذ أجاز من الموات الفعل في
 خلق الشرور والآفات فناقضوا بأجمعهم في نفس الامتراج
 لأنه لو كان بدأ به النور فقد أساء في مخالطة الظلام
 وان كان بدوه من الظلام فقد غلب النور وأفسده وعندهم
 أن النور لا يكون منه إلا الخير والظلمة لا يكون منها إلا الشر
 فكل خير منسوب الى النور وكل شر منسوب الى الظلمة
 واكتفى من جوابهم بما يومض عن مناقضاتهم كفاء ما
 يشاكل [٢ 18 ٧٠] كتابنا هذا بعد أن نستقصيه في كتاب
 المدلة ونشج القول فيه بمشيئة الله وقد سألهم جعفر بن
 حرب عن مسألة قليلة الحروف عظيمة الخطر فقال لهم
 أخبرونا عن رجل قتل رجلاً ظلماً فسئل أقتلته قال
 نعم من القائل نعم قالوا النور قال فقد كذب النور
 والنور عندكم لا يفعل الشر قالوا فهو الظلمة قال فقد صدقت
 والظلمة لا تفعل الخير وقال هل اعتذر أحد من شيء قط
 قالوا نعم والاعتذار حسن جميل قال فمن المعتذر قالوا

النور قال فصنع شيئاً يجب الاعتذار منه قالوا فالظلمة
قال فقد احسنت اذا اعتذرت فقطعهم واستعظم قوم
القول بإيجاد أعيان لا من سابق فقالوا بقدم الباري وشئ
قديم معه أم الأشياء وآخر الهويات ومادة العالم والأصل
الذي حدث منه الأجسام والاشخاص فأنه جوهر بسيط
حار من الأعراض ثم احدث الصانع فيه أعراضاً من الحركة
والسكون والاجتماع والافتراق فتركب من حركاته العالم بأجزائه
فهولاء قد أوجبوا شيئين قديمين مختلفين الى الذات والصفة
احدهما حي والآخر ميت ودخلوا في مذاهب الشنوية وناقضوا
أصلهم بأن الباري لم يزل يصنع فيه فابطلوا قولهم بأنه علة
والعلة لا تفارق العلول وجملة القول في الاعتقاد في المدوم
والموجود أن الموجود ما يُعقل أو يعلم أو يحس أو يُعرف أو
يصح منه تأثير أو فيه أو معه أو به فاذا خلا من هذه الماني
فهو المدوم ولولا ذلك لكان كيف يتقد المتقد المدوم من
الموجود فان قيل فقد اعتقدتم القديم أفعدم هو وانتم
لا تصفونه بشئ من الحدوث والأعراض قيل افئسوون انتم
بينه وبين الهيولى في المعنى أم لا وانتم لا تصفونها بشئ من

الحدود والأعراض ونحن إنما نعتقد وجود البارئ بدلائل
صنعه وآثاره وليس يصحّ الهيولى اثر ويوجب اعتقاده موجوداً
بل لو وصفتوه بافعال خاصية وجب اعتقاده وسنزيد
ايضاحاً لهذه المسئلة في فصل ابتداء الخلق ان شاء الله
تعالى،

القول بابطال التشبيه اقول أن التشبيه يوجب الاتفاق في
الحكم والمعنى على قدر الواقع من الاشتباه وذلك يزعم
أن حدّ الجسم انه طويل عريض عميق يلزمه ان يقتضى
على كلّ ذى طول وعرض وعمق بالتجسيم لأن الاشتباه
بينهما واقع في جميع الوجوه فاذا قال جسم لا كالأجسام
وأراد أن يبطل الحدود المضروبة فيه فكأنه يقول جسم
لا جسم ويلزمه أن يحكم على كلّ ذى طول بمحدّ من حدود
الجسم لأنّه من حيث استحقّ بعض أوصافه استحقّ الحكومة
به كما أنّه إذا حدّ العرض بأنه لا يقوم بنفسه لزمه القول
بأن كلّ ما لا يقوم بنفسه فهو عرض فان قيل أليس قلتم انه
شئ لا كالأشياء فما تنكرون من يقول انه جسم لا كالأجسام أو
له وجه لا كالوجوه وجارحة لا كالجوارح فإن الشئ اسم عام

للموجود والمعدوم والقديم والمُحدث وحده ما قد ذكرناه في موضعه فاذا سمع السامع به لم يذهب به الى جسم دون عرض ولا الى قديم دون مُحدث حتى يفرق به الى التفسير ما يدل [٢٩ ١٩] على المراد فاذا سمع بالجسم لم يعقل منه ألا المؤلف المركب فلذلك لم يُجزِ إطلاق اسماء المُحدثات عليه لأن استواء أحكام المثلين من حيث تماثلا وإلى هذا المعنى ذهب الناشئ في قوله [بسيط]

لو كان لله شبه من خلقته كانت دلائله من خلقه فيه
قد كان مقتضيا من نشو صانه ما يقتضى النشوء من آثار ناشيه
لكنه جلّ عن أوهام واصفه فالجس يُعديمه والعقل يُبديه

الفصل الثالث

في صفاته واسمائه وكيف يجب أن يُعتَقَد

القول والفعل منه سبحانه

أقول أنه إذا ثبت وجود البارئ عز وجل وثبت وحدانيته
بالدلائل التي قامت وجب أن يُنظر في صفاته وما يليق
به أن يضاف إليه ويُعرف به فنظرنا فإذا من صفاته
خاص وعام فالخاص ما لا يجوز أن يُوصَف بضده كالحياة
والعلم والقدرة ولا أن يوصف بالقدرة عليها ألا ترى أنه
لا يصح القول بأنه يقدر أن يمحي أو يقدر أن يعلم أو يقدر أن
يقدر ولا القول بأنه يعلم كذا ولا يعلم كذا أو يقدر على كذا ولا
يقدر على كذا لأن ما كان موصوفاً بنفسه ثم وُصِفَ بضدها كان
الضد راجعاً إلى نفسه ولا تستقيم الإلهية بغير حياة وقدرة
وعلم وهذه تسمى صفات الذات والعاء ما يجوز أن يُوصَف

بضدّها ويوصف بالقدرة عليها كالإرادة والرّزق والخلق والرحمة
وهي صفات الفعل والمسلمين ومن قبلهم في هذا الفصل تشاجر
كثير واختلاف يدعو إلى ضلال مَنْ خالف صاحبه في
ذلك فقال بعض الناس لا اسم للبارئ ولا صفة ولا ذكر
وانما ينبغي ان ينسب كلّ عدل ورحمة وفضل وجود إليه بمعرفة
القلوب أنه منه وقالت المعتزلة أن صفات الله أقوال
وكنائيات وهي كلّها من قول القائلين ووصف الواصفين
وقال قوم لا معنى لصفات الفعل وأنما المعنى لصفات الذات
والصفة ما قامت في الموصوف ولا تباينه ولا يجوز أن يوجد
الموصوف مع عدمها قالوا فلم يزل الله خالقًا بارئًا رازقًا
مريدًا متكلمًا رحيماً حتى أتوا على آخر صفاته وفرّق ناس
منهم بين الوصف والصفة فجعلوا الصفة ما يلاصق الموصوف
كالعرض للجوهر والوصف قول الواصف تلك الصفة فصفات
الله غير مخلوقة لأنّه بها موصوف وهو غير مخلوق وهو
واحد بصفاته كلّها وصفاته لا هو ولا بعضه ولا غيره
واحتجّوا بأنّها ليست هو ولو كانت هو لكان صفة ولدعي
فقل يا علم يا قدرة يا سمع يا بصر ولما قام بذاته

كما أن الصفات لا تقوم بانفسها ولا هي غيره لأن حد المتغيرين جواز وجود أحدهما مع عدم الآخر [١٩ ١٩] فلو كان علمه وقدرته وسمعه وبصره غيره لجاز عدم العلم والقدرة وغيرها مع وجود البارئ فيحصل بلا علم ولا قدرة ولا هي بعضه لأن التبعض من دلائل الحدث واللّه لا يُوصف بالاباض والأجزاء. وقالت المعتزلة في صفات الذات أنها ليست من غير الذات شيئاً فذات البارئ عالمة حكيمة قادرة سمعة بصيرة وهو عالم بذاته قادر بذاته سمع بذاته بصير بذاته وإنما الصفات ما وصف الله به نفسه أو وصفه العباد بها قالوا ولا يجوز أن يكون علمه وقدرته هو ولا غيره لأنها لو كانت هو لكان اشياء كثيرة مختلفة ولعبدت ودُعيت فلو كانت غيره لكانت قدمات كثيرة وإن لم يزل مع البارئ وإن كانت محدثة فكان قبل احداث العلم غير عالم وقبل احداث القدرة غير قادر وكذلك سائر الصفات فثبت أن ذاته عالمة قادرة إن كان له علم به يعلم وقدرة بها يقدر ولم يخل من أن يكون هي هو أو غيره وقالوا لا فضل بين من زعم انه هو أو غيره أو بعضه قالوا وقول

القائل لا هو هو نفى وقوله لا غيره رجوع عن ذلك
 النفي وإثبات له فهؤلاء يزعمون أنه لو كان له علم لكان
 معه غيره ومخالفتهم يزعمون ان لو لم يكن له علم لكان
 جاهلاً قالوا وهو موصوف بالقدّم والقدرة والعلم فلو كان
 عالماً بنفسه قديماً لما جاز أن يُوصَفَ بنفسه كما لا يُصَوَّرُ
 المصوَّرُ بنفسه ولا يكتب المكتوب بنفسه ولا يشتم المشتوم
 بنفسه وإنما يشتم المشتوم بشم ويصوَّرُ المصوَّرُ بصورة فصَحَّ أنه
 موصوف بصفات والصفات يشتق منها الأسمى فالقديم من
 القِدَم والقدير من القدرة والعالم من العلم كما أن الحرة
 للأحر والصفرة صفة للأصفر ثم هؤلاء هي ولا غيرها قالوا
 ولو لم يشاهد عالماً الا بلم ولا قادراً الا بقدرة فكذلك
 ما غاب عنا فَبال لهم مخالفتهم أليس الحرة والصفرة
 عرضان في الأحمر والأصفر أو ليس العالم متاً بلم علمه عارض
 فيه فهل ' الى تمثيل الباري بجسم ذي عرض وبم ينفصلون
 ممن يزعم انه جسم أو عرض لوجود الفعل منه لأنه لا يظهر
 الفعل فيما يشاهده إلا من جسم حدث فهل يجب علينا القضاء

بأنه جسم ذو أعراض وأبعاد إذا لم نشاهد الفعل إلا من
 جسم ذي أعراض وأبعاد كذلك لا يجب القضاء بأنه
 عالم بيلم إذا لم نشاهد عالماً إلا بيلم فإن قيل إذا أجزت عالماً
 لا يعلم فأجز جسمًا لا بصفات الجسم قيل لو لزم ذا
 للزمك هو بعينه في إجازتك عالماً بيلم لا هو ولا غيره ولا
 بعضه وأما قولهم ان المصور لا يصور بنفسه والمكتوب
 لا يُكتب بنفسه وإنما يصور بصورة ويكتب بكتابة
 والصورة والكتابة لا شك غيرهما وقولهم من الصفات يشتق
 الأسمى فالصفات هي الأسمى بعينها ليست أنها أشياء كائنة
 فيه كالأعراض في الجواهر ولكنه إذا أبدى فعلًا من أفعاله
 تسمى به أو سماه العباد به والكلام يطول في هذا ويمتد
 ومتى عمل الناظر فكره في هذا المقدار [٢٠ ٣٠ ٢٠] تبين له
 وجه الصواب بحول الله وقوته

القول في الأسمى اقول أن اختلافهم في الأسمى كاختلافهم في
 الصفات وعامة المعتزلة على أن الأسمى هي الصفات وأن الاسم
 غير المسمى وهو قول المسمى وحد الاسم ما دل على المعنى وقالت
 فرقة أن الاسم والمسمى واحد واحتجوا بقوله تعالى سَبِّحْ اسْمَ

رَبِّكَ الْأَعْلَى فلو كان الاسم غيره لكان قد أمر بعبادة غيره
 وقد قال سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فدلَّ على
 أن اسم الله هو الله وقال اذْكُرُوا اللَّهَ ثم قال في موضع
وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ وناقضهم مخالفوهم بأن الاسم لو كان
 المسمى لكان إذا غيّر تغيّر المسمى وإذا أحرّق أو خرق أو غرق
 أثر ذلك كله في المسمى وكلُّ مسمى سابق اسمه وجائز
 تبدل الاسم عليه والاسماء مختلفة كثيرة والمسمى واحد غير
 مختلف وقد قال الله عز وجل وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى
فَادْعُوهُ بِهَا وما هو له فهو به يُدعى وهو غيره لا شك
 وأجمت الأمة أنه غير جائز أن يقال له يا حسن على
 أن يكون حسنه في ذاته وإنما يُوصف بحسن القول والفعل
 وقد أخبر أن له أسماء حسنة في غاية الحسن ونهايته
 فقيل أنه غير اسمائه واسماؤه معلومة محدودة معدودة الحروف
 ولا يجوز إطلاق شيء من ذلك على الباري سبحانه وتعالى
 واسماؤه تختلف باختلاف اللغات فكما أن لغة الفرس
 هي غير لغة العرب ولغة العرب غير لغة الحبش لقول الله
تعالى وَاخْتَلَفَ الْأَلْسِنَتُكُمُ وَاللُّوَانُكُمُ كذلك التسمية بها

مختلفة فاذا اختلف الاسم وهو واسمه واحد فذاك
الاختلاف شائع فيه لا شك اللهم إلا أن ينكر أن لا يكون له
غير اسم واحد وأن لا يختلف ذلك الاسم باختلاف
اللغات فهذا جاحد ضرورة لا غير وقوله تعالى سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ
الْأَعْلَى أى اذكره باسمه وصفته لأَنه غير ممكن ذكر
شئ إلا باسمه ثم قوله سَبِّحْ لآله واذكروا الله واذكر
رَبَّكَ على ما يتعارفه الناس ان الشئ اذا لم يكن ذكراً في
نفسه لم يكن ذكره إلا باسمه وقول القائل الله معلوم
أنه اسم عربى لمعرفة معناه واشتقاقه وغير جائز القول بأن
الله عربى او عجمى فإن قال قائل اذا كان الاسماء والصفات
من أقوال العباد وكنائياتهم فلم يكن له اسم ولا صفة قبل
الخلق وكان عطلاً غفلاً الى أن سماه العباد قيل قد قلنا أن
صفاته على وجهين صفة ذات وصفة فعل فما كان من صفات
الذات لم يزل بها موصوفاً وان لم يصفه بها واصفه كما أنه
لم يزل واجداً فرداً وان لم يكن خلق يوحده وعالماً وان لم يكن
المعلوم موجوداً وقادراً وقديماً فاما القول بأنه لم يزل
مدعواً او معبوداً او مشكوراً فالشاكِر والمابِد والداعي

ليسوا لم يزالوا وكذلك القول بأنه لم يزل خالقًا رازقًا
يقتضى ازلية المخلوق والمرزوق اللهم إلا على جهة القدرة على
الخلق والرزق فإنه يستقيم له ذلك وكذلك لو
قال لم يزل سميعًا بصيرًا على معنى سَيَّبَصِرُ وَسَيَسْمَعُ وأجمع
المسلمون أن الله حيّ قادر قديم سميع بصير واحد فرد عالم
حكيم متكلم جواد فاعل مختار موجود رحيم عدل متفضل
غنى واختلفوا في تفصيل هذه الصفات وعلمها فزعمت طائفة
أنه عالم لأن له علمًا وزعم آخرون أنه عالم بذاته لأنه
يدرك الأشياء كما هي وقد تقدم حُججُ الفريقين مجملًا
وكذلك قولهم في القِدَم والقُدرة فن أبي القول بأن
حدّ القديم والقادر أن يكون له قِدَم وقُدرة قال حدّ القديم
الموجود لا إلى أول وحدّ القادر الذي لا يمتنع الفعل عليه
باختياره وأجمع هؤلاء أنه موجود (٢٠٢٠) بينه وذاته ولا
يُوجد لأنه لو كان موجودًا بوجود لم يخلُ ذلك الوجود من
أن يكون موجودًا أو ليس بموجود فإن كان غير موجود فقد

١ Ms. حجاج.

٢ Ms. الى.

دخل في باب العدم وإن كان موجوداً فقد وجب أن يوجد
وجود آخر إلى ما لا نهاية والقول بما ليس له نهاية يؤدي
إلى قول أهل الدهر وقالت طائفة أنه حيٌ بحياة
عالمٌ بلم وزعم آخرون أن معنى الحي وجود الأفعال منه على
اتفاق واتساق واختلفوا في ذاته ألها نهاية أم لا فقال
أكثرهم أنه غير متناهٍ لأنه لا يجسم ولا عرض ولا حد له
فيقتضى النهاية وهو مبدع النهايات والحدود وزعم هشام بن
حكم أنه متناهٍ وكذلك يلزم كل مجسم وقد قال
أصحاب القضاء أنه غير متناهى الذات واختلفوا أذاته
مرئية أم غير مرئية فن قال بالتشبيه أو رأى الرؤية
العلم قال هو مرئى كما هو موجود معلوم ومن أبى ذلك
قال غير مرئى كما هو غير محسوس ولا ملموس بقى الاختلاف
في التوفيق بين الرؤية والعلم واللمس والتفريق بينها
واختلفوا في الكلام فن قال هو من صفات الذات قال
غير محدث ولا مخلوق لأن الله لم يزل متكماً بكلام لا هو هو
ولا هو غيرد ولا بعضه ومن قال من صفات الفعل قال هو
محدث لأن الكلام يقتضى متكماً واختلفوا في الإرادة

بحسب اختلافهم في الكلام واختلقوا في المكان فقال أكثرهم
 انه بكلّ مكان حافظاً مدبراً وعالماً وقادراً وليست ذاته بجسم
 فيشغل الأماكن ولا يمرض فيملّ الأجسام ومن كان بهذه الصفة
 فغير محتاج الى المكان وقال هشام بن الحكم والمشية انه
 في كلّ مكان ذو مكان وذلك مُطرّدٌ على أصله لما يراه جسماً
 وقال قوم انه في السماء فوق العرش بذاته بلا نهاية
 لا يكون الشئ على الشئ بالماسّة والاضلال وزعم ابن
 كُلاب انه على العرش لا في مكان واذا أجازوا أن يخلق الله
 جسماً لا في مكان وأن يُقيم العالم لا في مكان فما ينكرون من
 كونه لا في مكان وليس هو بجسم ولا عرض واختلقوا في العلم
 فقال قوم عالم بما كان قبل ان كان وبما يكون قبل ان يكون
 ولا يجوز أن يخفى عليه شئٌ إلا بآئه استفاد علماً او أحدثه
 لنفسه بل ذاته متنبّهة عالمة وزعم قوم من الإماميّة أن الله
 لا يعلم ما هو كائن حتى يكون قالوا ولو كان يعلم أن من
 يخلقه يكفر به ويصيه ويؤذيه لما خلقه وأجازوا فسخ الخبر
 والبداء وأول من أبدع هذا الرأي في هذه الأئمة المختار بن
 ابي عبيد كان يزعم أنه يعلم ما يحدث من جهة الوحي فيخبر

أصحابه بكوائن فإن اتفقت فهو ما أراد وإن خالف قد ابدأ
لربكم وكان بهم بن صفوان ينفي الصفات كلها عن الله
سبحانه وينكر القول بأنه شيء زعم فراداً من التشبيه ويقول
علم الله محدث وجلة الرد على هؤلاء أن الجاهل منقوص
ومستحق المذمة لا يستحق الإلهية وأجاز المعتزلة كون ما علم
الله أنه لا يكون لأن علم الله ليس بعلة ككون الشيء
ولا حامل للعلوم على الكون كما أنه لم يزل عالماً بمخلقه العالم
قبل خلقه ثم لم يجز القول بأن علمه علة الخلق وحامل له
على إيجاده قالوا ومما علم الله أنه لا يكون أمور علم أنها
لا يكون لاستحالة كونها [fol. 21 r] ككون إله معه أو كون
شريك أو كون غالب يقبله أو كون نهاية وانقضاء له ومنها
أمور علم أنها لا تكون لاستحالة كونها فلا يجوز كونها بحال
قالوا وغير جائز أن يأمر عبداً بما يعلم أنه لا يكون منه ما
يأمره به ولا يقدر عليه لاستحالته أو لعجزه وإنما يجوز الأمر
لمن علم أنه قادر على الفعل لأن القدرة هي التي تقتضي
التكليف لا العلم وقال مخالفوهم لا يجوز كون خلاف ما
علم الله ويجوز الأمر بخلاف ما علم لأنه لو جاز كون خلاف

ما علم كان عاجزاً جاهلاً وهذه هي مناظرة بين الفريقين مليحة
مُفيدة قالوا لهم أليس في قولكم أن الله لم يزل عالماً بأن
فرعون لا يؤمن قالوا بلى قالوا فكان فرعون يقدر أن يؤمن
وقد علم الله أنه لا يؤمن قالوا نعم قالوا فكان فرعون
يقدر على إبطال علم الله وتجهيله قالوا لو علم الله أن فرعون
لا يقدر أن يؤمن كما علم أنه لا يؤمن ثم قلنا انه آمن أو يؤمن
لكننا مُبطلين مجهلين ولكننا قلنا علم الله انه لا يؤمن وعلم انه
يقدر أن لا يؤمن ولم يؤمن فلم تكن مُبطلين ولا مجهلين ثم قلبوا
عليهم السؤال فقالوا أليس الله عالماً بأنه يقيم القيامة في وقتها
وهو القادر على أن لا يقيمها قالوا بلى قالوا فهل يجوز القول
بأن الله قادر على إبطال [علمه] علمه وتجهيل نفسه اذا كان
قادراً على أن لا يفعل ما علم انه يفعله وعلى أن يفعل ما علم
انه لا يفعله قالوا وليس علم الله أن فرعون لا يؤمن وأمره
بأن يؤمن فهل أمره بتجهيل علم الله فيه وإختلفوا في جواز
وصف الله بالقدرة على المحال كإدخال العالم في جرة او
بيضة فقال الجمهور من اهل العلم لا يجوز ذلك لأنه يقتضى
العلم مقدوراً كما يقتضى العلم معلوماً فكل ما هو غير مقدور

عليه محال إجازة القدرة عليه وزعم بعضهم أنه قادر عليه
واختلفوا في وصف الله تعالى بالقدرة على الظلم والجور فأحاله
قوم لأن ذلك مذموم لا يفعل إلا عن تقص أو حاجة ولو جاز
ذلك لم يكن مأمومًا أن يقع ولجاز وصفه بالقدرة على الجهل
والهجز وكان أبو هذيل يقول هو قادر على ذلك ولكن
لا يفعله لرحمته وحكمته وليس يفعل الظلم والكذب غير مقدور
عليه فيكون محالًا واختلفوا في قدرة الله تعالى هل هي علم الله
أم غيره وكذلك الحيرة فالقدم وسائر صفات الذات وزعمت
طائفة أن علم الله ليس قدرته ولا غيرها لأنه لو كان العلم
والقدرة لكان ما علم فقد قدر عليه وهو يعلم نفسه ولا يصلح
القول بأنه يقدر على نفسه ولو كان علمه غير قدرته لكن يجوز
وجود أحدهما مع عدم الآخر ولو جاز هذا لجاز أن يكون
البارئ في حالٍ عالمًا غير قادرٍ أو قادرًا غير عالم وزعم
داود بن علي أن علمه غير قدرته وأما المعتزلة فليس من قولهم
أن له علمًا وقدرةً حتى يلزمهم التفصيل بينهما واختلفوا في
التعديل والتجويز من خلقه أفعال العباد وماهم يكتسبوه من
المعاصي والآثم وقضائه إياها عليهم وإرادته منهم وعقوبته لهم

عليها بعد أن أوجدها منهم فقال قوم كل ذلك منه وفعله
وهو عدل وحكمة لأن الخلق خلقه والأمر أمره لا يكون منه
ظلم ولا جور ولو جاز حدوث حادث بغير مُرادِهِ أو مشيئته
وإيجاده لكان عاجزاً مغلوباً وقال آخرون لو كان كما يزعمون
لما كان الخلق ملومين ولا معاقبين ولا من يفعل بهم هذا
حكيمًا. ولا عالمًا [١٥ 21 ١٣] ولا رحيماً وهذا من باب الحير
والقدر والاختلاف فيه قائم مذ يُجد في العالم حيان ناطقان
ولا يجوز غير ذلك لتكافئ الدلالة وأعدل الأمور أوساطها
فقد قيل الناظر في القدر كالناظر في عين الشمس لا يزداد على
طول النظر ألا حيرة ودهشة ومن طاوعته نفسه بالإمساك
عن الخوض فيه والاقتصار على ما في الكتاب رجوت أن يكون
من الفائزين

الفصل الرابع

فى تثبىء الرسالة واثباب النبوءة

أقول أن منكرى الرُّسل صنفان أحدهما المعطلة الذين ينكرون إثبات البارئ سبحانه فلا وجه للكلام معهم إلا بعد إقرارهم بالتوحيد والثانى البراهمة اقروا بالصانع وأنكروا الرسالة واحتجوا بأن الرسول لا يأتى إلا بما فى العقل او بخلافه فإن كان يأتى بموجب العقل فما فى العقل كافٍ مما يجب لله تعالى على العباد من معرفته وتوحيده وشكره وعبادته واستعمال الحُسن واستقباح القبيح وان كان يأتى بخلافه فلا وجه لقبوله لأن الخطاب وقع على نوى العقول والقضية لها والتميز اودعتها فاجابهم المسلمون بأن الرسول أبداً لا يأتى إلا بما فى العقول إيجابه أو تجويزه وحاشا لله ولرسوله أن يأتوا بخلاف ما فى العقول ولكن من الأشياء مما يفيض ويلطف حتى يخطئه العقل او يخفى ويحتجب حتى

يَقْصُرُ دُونَهُ الْعَقْلُ كَانْتِفَاعِ الْإِنْسَانِ بِمَا يَنْزِعُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ وَيَشْتَقُ
إِلَيْهِ طَبْعُهُ مِنْ مَلَاذِ الْأَعْذِيَةِ وَالْمَلَاهِيِ الْمُقَوِّيةِ فَإِنَّهُ حَسَنٌ فِي
الْعَقْلِ الْأَخْذِ مِنْهَا بِقَدْرِ الْحَاجَةِ بَلْ وَاجِبٌ وَغَيْرُ حَسَنٍ إِذَا كَانَ
لَا يَمْلِكُهَا الْإِنْتِفَاعُ بِشَيْءٍ مِنْهَا إِلَّا بَعْدَ الْإِذْنِ مِنْ مَالِكِهَا فَصَارَ فِعْلُ
الْعَقْلِ فِي حَالٍ خِلَافَ فِعْلِهِ فِي حَالٍ فَدَلَّ أَنَّ الْعَقْلَ لَا يَسْتَفْنِي
بِنَفْسِهِ وَلَمْ يَضَاهِهِ شَيْءٌ مِنَ السَّمْعِ مَعَ أَنَّ الْعَقْلَ مُحْتَاجٌ إِلَى الرِّيَاضَةِ
وَالْتَمِيزِ وَالسَّمْعِ وَالتَّجَارِبِ لَا غَيْرَ مُوْهُومٌ لَوْ أَنَّ أَكْمَلَ الْخَلْقِ
عَقْلًا وَأَوْفَاهُمْ فَطْنَةً غُيِّبَ عَنِ النَّاسِ وَلِيدًا حَتَّى لَمْ يَسْمَعْ
شَيْئًا إِلَى أَنْ بَلَغَ فَأَدْرَكَ أَنَّهُ يُمْكِنُهُ اسْتِخْرَاجُ عِلْمِ الْفَلَسَفَةِ
وَالْهَنْدَسَةِ وَالطَّبِّ وَالتَّنْجِيمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَدَلَّ هَذَا كُلُّهُ أَنَّ
الْعَقْلَ غَيْرَ مُكْتَفٍ بِهِ وَلَا بَدَأَ مِنْ مَعْلَمٍ وَمَعْرِفٍ وَهَادٍ وَمَذْكَرٍ
وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ الْعِلْمُ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ إِلَّا مِمَّا ضَرُورِيًّا لَا تَأْتِي
نَشَاطِدُ ذَلِكَ فِي أَجْنَاسِهَا وَأَمْثَالِهَا وَإِنْ لَا يَكُونُ كُلُّهَا بِإِلَا اسْتِخْرَاجِ
وَالِاسْتِنْبَاطِ مِنْ غَيْرِ مُقَدِّمَةٍ وَأَصْلٍ سَابِقٍ فَإِنْ قِيلَ إِذَا كَانَ
الْبَارِئُ مُرِيدًا لِصَلَاحِ خَلْقِهِ غَيْرَ بِخَيْلٍ^١ وَلَا عَاجِزٍ وَلَا يَمْتَنِعُ
تَكْلُفٍ وَلَا عِلَاجٍ فِيمَا يَفْعَلُهُ فَهَلَا جَعَلَ خَلْقَهُ رُسُلًا وَأَلْهَمَهُمْ مِنْ

^١ بحيل Ms.

العلم ما استغنوا به على الرسل او حبس طباعهم عن التخطي
إلى محذور قيل لو فعل ذلك لم يزلهم دار البلوى والامتحان
ولا عرضهم لشرف الثواب وما هو إلا كقول من يزعم لِمَ
خلق الله الخلق وأسقط عنهم التكليف وابتدأهم في الجنة
وهذا باب التجويز [f^o 22 r] والتعديل وليس كتابنا هذا
بَيْنَانًا له^١ ولكن لو فعل كان له ما فعل فإذا لم يفعل فنقول
أساء أو جهل أو عجز وهذا الظن نقض التوحيد وإبطال الدين
فيما د الكلام فيه وتقرر بأنه عادل حكيم لا يفعل إلا الأصلح
بمخلقه والاعود عليهم ولو جعلهم كلهم رُسُلًا لوجب أن يسوى
بينهم في الفضل والعقل والجاه والمال والقوة ولو فعل لما عرف
فاضل فعله ولا قوى قوته ولما شكر وحمد في إسقاط
موجبات الشكر والحمد وإباحة الفكر والذم وهذا قبيح في
العقل فدل أنه لم يُجز التسوية بين الخلق لا في الحال ولا
في المال ولا في الرسالة فان طعنوا في الرسالة بما يوجد
فيها من سفك الدماء وذبح البهائم وإيلاام الناس فإن العقل
لا يرد شيئاً من ذلك إذا كان فيه ضرب من الصلاح كما

^١ لهذا بيناه. Corr. marg.

يكره الانسان على شرب الأدوية الكريهة وعلى الفصد والحجامة
وقطع بعض الجوارح عند انتظار مخوفة وتأديب الأطفال وغير
ذلك فيوجب عليه أن لا يردع ظالماً ولا يفتص من جارحةٍ
وهذا قبيح وترخيص في الفساد ومن أعظم الدلائل على
وجوب الرُّسل هذه اللُّغات المختلفة التي تلقظ الناس بها
ويتعارفون بها ما يحتاجون الى معرفته ولا بُدَّ من معرف
ومعلم لها أسماء المسميات باختلاف اللغات وكذلك الصناعات
والآلات التي يتوصّل بها اليها وليس في وسع الناس استخراج
لغة ووضع لفظ يتفقون عليه إلا بكلام سابق به يتداعون
ويتواضعون ما يريدون وليس في المقول معرفة ذلك ولا بدَّ
من معلم قال الله عز وجل وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ
عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ثُمَّ إِذَا صَحَّت النبوة ووجبت الرسالة بقي أن يُعلم الفرق
بين النبي وبين المتنبي لأنَّ الأشخاص متساوية متماثلة ففرق
الله تعالى لما اراد من أقبامه حجته وإظهار دعوته بين الصادق
والكاذب منهم بما خصه به من الآيات الباهرة والعلامات
المعجزة الخارجة عن العادة والحس وذلك معروف معدود كما

يُحكى عن موسى وعيسى ومحمد عليهم السلم وغيرهم من
الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين

القول فى كفيّة الوحي والرسالة، أقول أنّ المسلمين ومن
فليهم اختلفوا فى هذا الباب اختلافاً كثيراً فزعمت طائفة
أنّ الوحي إلهام وتوفيق وزعم آخرون أنّه قوة الروح القدس
وعند الفلاسفة النبوة علم وعمل والمسلمون يقولون الوحي على
وجوه فمنه الإلهام ومنه الرويا ومنه تلقين ومنه تنزيل وهذه
مسئلة من فصل الصفات اغفلناها فى موضعها فحررناها فى هذا
الفصل وهى كفيّة القول والفعل من الله لأنّ اهل الاسلام
فى ذلك مختلفون فزعم بعضهم أنّ كلام الله فعل منه فهو به
متكلم وكذلك إرادته ومشيتة وحبه وبُغضه وقوله
كُنْ فَيَكُونُ تكوين منه للشيء والقول زيادة قالوا لأنّ هذه
الاشياء أعراض تحلّ فى مواضع لها معلومة وليس هو بمحلّ
الاعراض وقال عاتمهم ان الفعل تكوين [٢٠ ٢٢ ٢٣] وإيجاد من
غير معالجة بمجارحة إلاّ مَنْ شَذَّ فزعم أنّه يخلق بيديّه
والافعال على وجوه كثيرة فمنه الفعل بالقصد والاختيار ومنه
الفعال من غير قصد على السهو ومنه الفعل بالاتفاق والبحث

وكَلَّهَا جَرَكَاتٍ وَمِنْهُ فَعَلَ التَّوَلَّدَ كَمَا يَنْفَعِلُ الشَّيْءُ بِطَبْعِهِ وَفَعَلَ
 اللَّهُ تَعَالَى غَيْرَ مُشَبَّهٍ بِشَيْءٍ مِمَّا ذَكَرْنَا وَزَعَمَ قَوْمٌ أَنَّ كَلَامَهُ لَيْسَ
 مِنْ أَعْمَالِهِ وَفَرَّقُوا بَيْنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَلَقَدْ اِمْتَدَّ بِنَا الْقَوْلُ إِلَى
 هَذِهِ وَمَا كَانَ قَصْدُنَا أَنْ نَبْلُغَ كُلَّهُ وَلَكِنْ لَمَّا رَجَوْنَا مِنَ الْخَيْرِ
 وَأَمَلْنَا مِنْ هُدَايَةِ النَّازِلِ فِي كِتَابِنَا وَاهْتِدَائِهِ بِهِ وَلَمَّا نَرَى
 مِنْ فُسَادِ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ وَتَحَرُّمِ طَالِعِ الْإِلْحَادِ وَالْتِفَاقِ وَاعْجَابِ
 كُلِّ ذِي حَرْفٍ بِنَفْسِهِ لِإِنْتِقَاضِ الْعُلَمَاءِ وَدُرُوسِ آثَارِهِمْ وَمَا
 قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ هُوَ أَوْ كَدُّ فِي نَفْسِي أَمْ لَا وَأَوْثِقْ عُدَّةً مِنْ
 جَمِيعِ هَذَا الْكَلَامِ وَالْاجْتِهَادِ فِي شَرْحِهِ وَأَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي مِنْ
 وَأَعَانُ أَنْ يَعْصِمَ مِنْ تَرْغَاتِ الشَّيْطَانِ وَيَنْفَعُ بِهِ النَّازِلِينَ
 وَالْمُسْتَفِيدِينَ وَإِنْ يَرْحَمُ مِنْ عِذْرِنَا فِي تَقْصِيرٍ إِنْ كَانَ مِنَّا وَقَامَ
 بِتَقْوِيمِ أَوْدِهِ وَإِصْلَاحِ غَلْطِهِ مَشَارِكًا لَنَا فِي ثَوَابِهِ وَأَجْرِهِ فَلَمْ
 يَتَعَمَّدْ فِيهِ خَطَاءٌ وَتَحْرِيفًا وَلَا حَمَلْنَا الْحِمَّةَ وَالتَّعَصُّبَ عَلَى تَزْيِيدِ
 أَوْ إِبْطَالِ أَوْ تَغْيِيرِ رَوَايَةٍ أَوْ حِكَايَةٍ بَلْ سُقْنَاهَا عَلَى وَجْهِهَا
 وَأَدَيْنَاهَا بِأَوْجَزِ لَفْظِهَا لِمَنَّا بِعُمُومِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ مِنَ الْأَعَاجِمِ
 وَالْأُمِّيِّينَ مُبْتَدِئِ الْمُتَعَلِّمِينَ،

الفصل الخامس

في ذكر ابتداء الخلق

قال انّ الموحدين في معنى إيجاد الخلق مختلفون لأنّ الله خلق الخلق لا لاجتلاب منفعة ولا لدفع مضرة وكلّ فاعل من غير نفع ولا ضرر فسفيه غير حكيم قال المسلمون هذا إذا كان الفاعل يلحقه المنافع والمضار فأما إذا كان غنياً من احتراز منقعة ممتنعاً من لحوق ضرر فقير سفيه ولا عايب وقد قامت الدلالة على أنّ الباري كذلك حكيم غير سفيه ومحال وجود العيب من الحكيم فلا يخلو خلقه من الحكمة وإن خفى علينا وجهه لعلنا بأنّ الحكيم لا يفعل ما هو غير حكمة واختلف آراء الناس في ما لاح لهم من الحكمة في خلقه وإن كان لا يجوز القطع على شيء منه لظنه معظم علمه عنهم فقال قوم خلق الله الخلق لجوده ولرحمته إذ الجواد بإفاضة

الجود على المجود عليه يظهر جوده والقادر بإظهار المقدور يظهر قدرته وقال قوم خلقهم لينفعهم وينفع بهم يعنون لتعبر^١ المتكلفون بالخلق غير المكلف وقال قوم ليأمرهم وينهاهم وقال قوم خلقهم لاستدعاء الشكر والثناء وقيل ليلم علمه أنه يخلقهم وقال قوم لا نقول شيئاً من ذلك نخلقهم لما شاء ولا علم لنا بمشيئته هذا قول من اقرّ بمحدث العالم وأن له مُحدثاً سابقاً له فأما من انكر ذلك فإنه احتجّ للقدم والاهمال بأنه لو كان للعالم صانع او مدبر ناظر لما كان فيه تفاوت خلق ولا تعادى سباع ولا شمول بوار ولا وقوع فساد ولا اعتراض أسقام وأوجاع ولا هَرَم ولا موت ولا حزن ولا فاقة وآية حكمة في انشاء صورة حيوانية او نامية ثم في إفنائها ولما استوى حال المعاند والمحيب ولما فضل العالم الجاهل بالجاه والمال والمنزلة [٢٣ ٢٤] وهل لا^٢ أخير الخلق ان كان له خالق على التناسف والتواصل ولمْ خُلِّي بينهم وبين التعادى والتظالم والتباغى والتهارج وهذا كله مضمحل متلاشٍ بشهادة آثار الخلق

^١ لتعبر Ms.

^٢ هل Ms. هلا ; corr. marg.

على تفاوته واختلافه في الظاهر من الاجتماع والافتراق.
والحركة والسكون والاعراض والمقارنة له بمعرفة كمال
القدرة ووجوب العبرة في خلق الأضداد وللصكارة وإعطائه
الحلق القوة والقدرة والاختيار ليستحقوا بأعمالهم أشرف الثواب
وليرتدعوا بالاعتبار عن الظلم والفساد ولو كانوا مجبورين كما
يزعمون أو مجبولين على فعل واحد دون ضده لكانوا جمادًا مواتًا
ولو كانوا على طبع واحد لما عرفوا بجوانسهم ولا وجدوا بقولهم
إلا الشئ الواحد الذي يلايم طبعهم فلم يصلح حينئذ تكليف
ولا وقع منهم تمييز وترك إلحادهم على هذه الصورة انفع لهم
وابلغ في الحكمة ولا يفعل الله إلا الأصلح الأحكم وأما
فضل الجاهل العالم بالمال والجاه فاعلم أفضل من المال لأنه
السعادة اللازمة والمال من السعادة المفارقة فلو أنصف هذا
الزاعم في القضية لفصل الجاهل بالمال على العالم لفصل العالم
على الجاهل بأضماف علمه لتساوى حالتهما وقد سئل جعفر بن
محمد الصادق رضي الله عنه عن هذه القضية قال ليعلم العاقل
أن ليس إليه من أمره شئ وإي لعمري هو من أدل دليل
على مُدبّر قدير قاهر وهولاء المعطلة اقل الناس عددًا

واوهمهم عُدةً وافيلهم رأياً وأوهمهم عزماً وأنقصهم حجةً
وأخسهم دعوىً وأدناهم منزلةً وأغربهم ذهنًا لا يظهر واحد
في أمةٍ وجيلٍ إلا في الدهر والحين لأنه رأى مشرذل
وعقيدةً مهجورةً وعزم مدحول لا يبدو إلا من قدم جاهلٍ
أو معاندٍ وما أراه انتشر في أمةٍ من الأمم وزمنٍ من الأزمنة
انتشاره في زماننا هذا وأمتنا هذه لتشر أهلُه بالاسلام وتحلّيتهم
تحلية شرائعهم ودخولهم في غمار أهلِهِ واحتال من احتال لهم
باطيف التمويه في تسليم الأصول الظاهرة والمصير به إلى
التأويلات الباطنة فهم يُرَقِّقون عن صُبُوحٍ ويحتسون في
إرتقاءٍ وذلك الذي حقن دماءهم وغمد سيف الحق عنهم
نابغ في قديم الدهر وحديثه وأبداً صفحته إلا عوجل بالاستئصال
واحت من الأوصال واستنجر المدة فيهم سنة الله في الدين
خلو من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً زعموا أن هذه الدنيا
قديمة لم تنزل^١ على ما هي عليه ولا تزال^٢ كذلك من صفة
بعد شتوةٍ وشتوةٍ بعد صيفةٍ وليل بعد نهار ونهار بعد ليل ونطفة

^١ Ms. ينزل.

^٢ Ms. يزال.

من إنسان وإنسان من نطفة ووالد من ولد وولد من والد .
وبيض من طير وطير من بيض وكذلك جميع الأشياء الحساسة
والنامية بعضها من بعض بلاصانع ولا مدبر لا أول لها ولا آخر
فإن هذه دعوى جائزة ومقالة باطلة ولو كان هذا المدعى
لم يزل مع أزلية العالم بزعمه لما سأت له دعواه ان لم يؤم
له دليل من غيره على أزليته فكيف وليس هو ممن هو لم
يزل ولا هو ممن لا يزال وان اعتمد فيه خبر من كان قبله وان
من أخبره لهو في حاله وحدثه لم يشاهد من ذلك إلا ما
شاهد من كان قبله مع معارضة الخصم له [٢٣ ٢٣] في الكون
والحدوث لأن الدعاوى تصح بالحجج لا بالصفات وإن زعم أنه
قاس ما مضى منه بما هو مستقبل فيما بعد وأنه غير منقضى
فهذا القضاء أجود من الأول وأضعف مدة بل هو نفس دعواه
التي خولف فيها والمعارضة قائمة فإن زعم الحال والوقت
الذى هو فيه فإن هذا رأى من قَصُرَ عَلَيْهِ وَسُخِفَتْ معرفته
وأوجب أن يكون هو بنفسه لم يزل على ما هو عليه في الحال
والوقت لم يكن قط نطفة ولا علقة ولا مُضْغَةً ولا جنيناً
ولا رضيعاً ولا يتغير فيما بعد فيكتهل ويشيب ويهرم وتجري عليه

سُورَتٍ وَتَنْتَقِلُ بِهِ الْأَحْوَالُ وَمَعَايِنَةُ هَذِهِ يَضْطَرُّهُ إِلَى
 الْإِقْرَارِ وَيُبَيِّنُ عَنْهُ وَجْهَ الْعِنَادِ وَإِنْ زَعَمَ أَنَّ حَكْمَهُ فِي نَفْسِهِ
 خِلَافَ حَكْمِ الْعَالَمِ قِيلَ وَلِمَ زَعَمْتَ ذَلِكَ وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا جُزْءٌ
 مِنَ الْعَالَمِ بَلْ قَدْ شَبِّهْتَ فِي جَمِيعِ مَعَانِيهِ فَسُمِّيَتْ الْعَالَمُ الْأَصْغَرُ
 وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا يَبَايِنُ مِنَ الْأَشْخَاصِ وَالْأَنْوَاعِ الْمُلَوَّيَةِ
 وَالسُّفْلِيَةِ مِنَ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ عَمِدْتَ إِلَى
 كُلِّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ الْعَالَمِ فَاخْتَصَصْتَهُ بِاسْمٍ لَحَصَلَ الْعَالَمُ
 لَا شَيْءٌ كَمَا أَنَّكَ لَوْ فَرَقْتَ الْجَوَارِحَ وَالْأَعْضَاءَ لَحَصَلَ الْإِنْسَانُ
 لَا شَيْءٌ فَهَذَا يَدُلُّكَ أَنَّ الْكُلَّ اجْتِمَاعُ الْجُزْءِ لَا غَيْرَ فَإِنْ
 قَالَ لَا يَقُومُ فِي الْوَهْمِ وَلَا يَتَصَوَّرُ فِي النَّفْسِ حَدُوثُ هَذَا
 الْعَالَمِ وَلَا فَنَاءُوهُ وَانْقِضَاءُوهُ عُرِضَ بِأَنَّهُ لَا يَقُومُ فِي الْوَهْمِ
 وَلَا يَتَصَوَّرُ فِي النَّفْسِ قَدَمُ الْعَالَمِ وَلَا بَقَاؤُهُ مَعَ أَنَّ الْقَضَاءَ عَلَيْهِ
 بِالْحَدَثِ وَالْانْقِبْضَاءَ أَقْرَبَ إِلَى الْأَوْهَامِ وَأَشَدَّ ارْتِبَاطًا لِنَفُوسِ
 لِقِيَامِ الدَّلَائِلِ الْوَاضِحَةِ وَالْبَرَاهِينِ الشَّافِيَةِ فَإِنْ قَالَ كَيْفَ يُمْكِنُ
 اعْتِقَادُ حَدُوثِ هَذَا الْعَالَمِ لَا مِنْ شَيْءٍ وَلَا فِي زَمَانٍ وَلَا مَكَانٍ
 فَإِنَّ هَذَا اشْتِطَاطٌ فِي الْمَطَالِبَةِ وَجَوْرٌ فِي الْقَضِيَةِ لِأَنَّهُ تَكْلِيفٌ
 تَمَثِيلٌ مَا لَا مِثْلَ لَهُ وَإِحْسَاسٌ شَيْءٍ غَيْرِ مُحْسُوسٍ وَلَيْسَ نَعْلَمُ

كالدنيا دُنْيًا غيرها فنشبه هذه بهذه وانما نحكم بمحدثها لشهادة
 أثر الحدوث بها والعامى الذى لا رأى له ولا نظر عنده
 يطلب الدلائل الظاهرة على الاشياء الخفية وذلك مُحال
 بمنزلة مَنْ يجب أن يرى ما لا يرى وأن يسمع ما لا يسمع
 او يسمع ما يرى ويرى ما هو مسموع ومن أنصف نفسه أنزل
 الملوّنات منازلها واكتفى من الموهوم بالوهم ومن المحسوس
 بالحس ومن المدلول عليه بالدلالة وقد لعمري لا يتصور فى
 الوهم إحداث هذه الجواهر والأعراض لا من غير سابق ثم
 لا يتصور وجود حدث لا من مُحدث فإذا تكافأت
 الصورتان لزم المصير إلى أشبهها دلالةً وأدناها الى الحق درجةً
 فإن الدلائل شاهدة بآثار الحدث والقدم موهوم وقضية
 الدلالة عليه من قضية الوهم والدليل على أن العالم حادث
 غير قديم كما يزعمون وأنه لا أول له ولا حركة إلا وقبلها
 حادثة لو كان كذلك لما جاز وجود ما هو حاضر فى الحال
 من حركة أو ليل أو نهار أو شخص ما لأن ما لا نهاية له
 فى وجوده وعدمه فمحال أن يوصف بأنه قد تنهى وانقضى
 حدوثه وفُريغ منه ولأن ما لا أول له فقير جائز وجود تانيه

ولا وجود ثالث ما لا ثاني له ولا وجود رابع ما لا ثالث له
على هذا القياس كما أن ما لا غاية له ولا نهاية في
المستقبل [٢٤ ٢٤] محال أن يُوصَف بأنه ينقضي أو ينقطع يوماً
كذلك من زعم من الحوادث لم يزل يحدثُ بلا أول فهذا
الحادث في الحال والوقت المشاهد لا يخلو من وجود ثلثة^١ إما
أن يكون هو الأول أو بعد الأول ولا أول ولا بعد الأول فإن
كان هو الأول وإن كان بعد الأول فقد ثبت الأول وإن كان
لا أول ولا بعد الأول فهذا فساد ظاهرة فكأنه قال شيء
لا شيء ولو جاز وجود ما لا أول له لجاز وجود العشرات
من غير تقدّم الآحاد ووجود المئين من غير تقدّم العشرات
ووجود الألوف من غير تقدّم المئين^٢ لأنّ بالأحد يتم الاثنان
وبالاثنين يتم الثلاثة ألا ترى أن قائلًا لو قال لا تُثبت الأرض
حتى تمطر السماء ولا تمطر السماء حتى تنعيم ولا تنعيم حتى يشور
البخار ولا يشور البخار حتى تهب الرياح ولا تهب الرياح
حتى يحرّكها الفلك ولا يحرّكها الفلك حتى تكون كذا ويمدّ

^١ Ms. له.

^٢ Ms. المائين.

فى هذا الاشتراط شيئاً قبل شئ، أبداً الى غير نهاية ولا غاية
 لم يجوز وجود نبت ولا مطر ولا غيم ولا ريح لأنه مُعلق
 بشرط ما قبله غير جائز وجوده لأنه غير متناهٍ وكذلك
 من زعم أنه لم يكن حركة إلا وقبلها حركة ولا انسان إلا وقبله
 انسان ولا نبت إلا وقبله نبت الى ما لا غاية ولا نهاية
 فمحال وجود هذا الانسان والنبت لأن وجوده كان مُعلقاً
 بشرائط لا أولها وما لا غاية له لا يوجد ولا يعلم ولا يؤهم
 وكذلك لو قال قائل لا أدخل هذه الدار حتى يدخلها زيد ولا
 يدخل زيد حتى يدخل عمرو ولا يدخلها عمرو حتى يدخلها فلان
 ثم كذلك الى غير غاية لم يجوز دخول زيد ولا غيره أبداً
 وكذلك لو قال لا آكل تفاحاً حتى آكل قلبها تفاحةً
 لم يصح له اكل تفاحة ابداً لأنه كلما ضرب يده الى
 تفاحة يأكلها منه شرط أكل تفاحة قلبها، ومن الدليل
 على حدث العالم أو أن له أولاً أننا لو توهمنا عند كل حركة
 مضت من حركات الجسم حدوث حَدَثٍ أو ظهور شخص لكان
 ذلك اجساماً حاضرةً يحضرها العدَدُ ويبقى عليها الحسابُ
 وكذلك لو توهمنا هذا العالم حياً عالماً لجاز أن يُعدَّ حركاته

وسكناته فيكون ذلك عددًا قائمًا معروفًا لمبلغ وما له
 مبلغ وأتى الحسابُ عليه فتناءٍ وكلّ متناهٍ له أول وإن لم يتناهَ
 ومن الدليل على حدث العالم وأنّ له أولًا أن ما مضى من
 حركات الفلك لا يخلو من أن يكون مثل سكناتها متساويةً
 أو أكثر منها أو أقلّ فإن كانت مثلها فالمثل كالنصف وما
 له نصف فتناءٍ والأكثر والأقلّ تدلّ الكثرة على تضاعف
 أجزاء الأكثر على الأقلّ فإذا ثبت تقدّم إحدى الحركات
 على الأخرى وما له تقدّم فتناءٍ وله أول وهذا من الحجج
 الواضحة التي يفهمها كلّ سامع وللموحدين في هذا الباب من
 دقائق النظر بما ألهمهم الله من توفيقه ما لا يظهر عليها إلا
 اللقن الفطن ولها موضعها من كتابه فإن قيل أليس الحوادث
 عندهم في المستقبل لا تزال إلى الآخر وإن كان لها أول يريدون
 قول أهل التوحيد ببقاء الآخرة على الأبد فما أنكرتم أن ما
 مضى من الحوادث لا أول لها وإن كان لها آخر قيل إنا
 لا نزعم أنّ ما له أول لا يجوز أن يكون له آخر وإن
 الحوادث غير متناهية [١٠ ٢١ ٣] ولكننا نقول أنّ الحوادث لا يزال
 يحدث منها حادثٌ بعد حادثٍ لا إلى غاية ولا يخرج كلّها إلى

الوجود حتى يرى موجودًا لم يبقَ منه شيء لم يُوجد وليس أول
الشيء بموقوف على صحة وقوع آخره كما أن آخره موقوف على
صحة وقوع أوله لأنه يستحيل وقوع آخر لا أول له ولا
يستحيل وقوع آخر بعد آخر أبدًا كما يستحيل وقوع فعل لا من
فاعل متقدم ثم لا يجب وجود الفاعل بعد فعله باقيا أبدًا أو
كما أن الأعداد مفتقرة أبدًا الى أول تنشؤ منه وتبتدى ثم
لم يجب وجود تناهيها لتناهي أولها ومن الفرق بين المستقبل
والمستدير أنه يجوز وجود ما لا يزال يتحرك ولا يجوز وجود
ما لم يزل يتحرك كما أنه يجوز وجود من لا يزال يتذر من
ذنب ولا يجوز وجود من لم يزل معتذرًا لأن الاعتذارات
لا بُدَّ لها من أول وقد يجوز أن يكون لا آخر لها كذلك
الأفعال لا بُدَّ أن لها أولًا ولا يجب أن يكون لها آخر ومن
ها هنا التزم بعض الموحدين بأن الحوادث لها آخر آخر الامة
الحدث وإن زعم ان هذا العالم وما فيه من فعل الطبايع وما
أوجبه ذواتها فالطبايع مركبة من البسائط والتركيب عرض
وهو دلالة الحدث فالطبايع إذا مُحدثه ثم هي جاد وموات
كالجبر والشجر ثم هي مسخرة مقهورة بدلالة أن من شأنها

التنافر والتضاد فلما رأيناها متواطئة متوافقة علمنا أنه
 يقهر قاهر وضبط ضابط ثم هي غير عالة ولا مميزة وإذا كان
 هذا هكذا استحال وجود هذه الصنعة المحككة المتقنة
 العجيبة البديعة من مُسَخَّر غير عالم وليس تُنَكَّر فعل الطبايع
 وتأثيراتها في المطبوعات من الحر والبرد في الفصول والأرباع
 لأن الله تعالى وضعها على ذلك وركب فيها تلك القوة
 وسخرها لما أراد أن يصرفها عليه وجعلها سبيلاً لتلك السببات
 ومتى شاء سلبها تلك القوة وأبطل فعلها كما جعل الطعام
 مُشْبِئاً والماء مرويّاً وكثير من الناس يأتون القول بما أطلقناه
 تحريّاً لمذهبهم وإن يهتج فعل من حىّ قادر فأما الاختيار
 والتدبير فغير جائز إلا من قادر حكيم وكذلك على من
 يزعم أن هذا العالم وما فيه من فعل الفلك والنجوم وغيرها
 فإن قيل إذا لم تروا حياً قادراً فعل إنساناً وصورة وركب
 فيه العقل والقوة والسمع والبصر ثم قضيت بأن في الغائب حياً
 قادراً يفعل ذلك ما أنكرتم أن يكون الطبايع تصوّر مثل
 هذا الإنسان وإن لم تروا مثل هذا في الشاهد قيل وما
 سوا لآثا وإن لم نشاهد حياً قادراً فعل إنساناً فقد شاهدنا

- يَأْ قَادَرًا فَعَلَ شَيْئًا وَأَبْدَعَهُ فَدَلَّنَا أَنَّهُ لَا يَمْجُوزُ فَعَلَ فِي
لَغَائِبِ الْأَمْرِ حَتَّى وَلَيْسَتْ الطَّبَائِعُ بِحَيَّةٍ وَلَا قَادِرَةٌ فَإِنْ
قِيلَ أَلَيْسَ النَّارُ تُحْرَقُ وَالْمَاءُ يَطْبُ قِيلَ فَقَدْ يَقُولُونَ فَلَانِ
يَحْرَقُ وَيَبْرَدُ وَيُضَيَّفُونَ الْفِعْلَ إِلَى الْمُخْتَارِ الْحَيِّ وَالْمَوَاتِ الْمَضْطَرِّ
وَلَوْ كَانَتِ الطَّبَائِعُ بِذَاتِهَا لَمَا جَازَ عَلَيْهَا الْإِتِّفَاقُ مَعَ تَضَادِّهَا فَإِنْ
قِيلَ شَيْءٌ تَعْلَمُونَهُ خَالِيًا مِنَ الطَّبَائِعِ أَوْ غَيْرِ مَتَوَلَّدٍ مِنْهَا قِيلَ
الطَّبَاعُ نَفْسُهَا مَتَوَلَّدَةٌ مِنْهَا وَأَكْثَرُ الْقَدَمَاءِ عَلَى أَنَّ الْأَفْلَاقَ
لَيْسَتْ مِنْ جِنْسِ الطَّبَائِعِ وَهَلْ يَصِحُّ الْقَوْلُ بِأَنَّ الْحَرَكَةَ
وَالسَّكُونَ وَالصَّوْتِ وَالْهَجْزَ وَالْقُدْرَةَ (٣ ٢٥ ٣) وَالْعِلْمَ وَالْجَهْلَ
وَالْحُبَّ وَالْبَغْضَ وَالْأَلَمَ وَاللَّذَّةَ وَالْبُكَرَاهَةَ وَالْإِرَادَةَ وَغَيْرَ ذَلِكَ
مِنَ الْأَضْدَادِ وَالْأَشْكَالِ مِنَ الطَّبَائِعِ أَوْ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِشَيْءٍ لِحُجُوبِهَا
مِنَ أَنْوَاعِ الطَّبَائِعِ وَأَمَّا احْتِجَاجُهُمُ بِالْإِسْتِحَالَةِ فَذَلِكَ مَحَالٌ لَا مَحِيلَ
لِأَنَّهُ لَوْ جَازَ أَنْ يُسْتَحِيلَ الشَّيْءُ بِنَفْسِهِ لَجَازَ أَنْ يُتَلَاشَى بِنَفْسِهِ
وَلَوْ جَازَ أَنْ يُتَلَاشَى بِنَفْسِهِ لَجَازَ أَنْ يَتَرَكَّبَ وَيُخْرِجَ إِلَى
الْوُجُودِ مِنَ الْعَدَمِ وَهُوَ عَدَمٌ فَلَمَّا لَمْ يَمْجُزْ هَذَا لَمْ يَمْجُزْ ذَلِكَ
وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ ، وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى حَدَثِ الْعَالَمِ أَنَّهُ لَا يَخْلُو

من أحد الأمرين إما أن قد كان وإما أن لم يكن فكان
 فإن كان قد كان فهذه الحوادث المقارنة له شاهدة بأنه
 ما كان فدلّ أنّه لم يكن فكان ثمّ لم يخلُ هذا من أحد
 الأمرين إما أنّه كان بنفسه وإما أنّه كان بمكوّن غيره فإن
 كان بنفسه فبحال أن يكون الدم وجودًا لجزء الكائن عن
 تكوين مثله فكيف يقدر على تكوين ذاته وهي معدومٌ بقي
 الوجه الآخر وهو أنّه كونه مُكوّنٌ ومن الدليل على
 حدث العالم أنّه لا يخلو أن يكون قديمًا أو حادثًا أو قديمًا
 حادثًا أو لا قديمًا ولا حادثًا فاستحال القول بأنه لا قديم
 ولا حادث لمشاهدتنا إياه فاستحال أن يكون قديمًا حادثًا
 لاستحالة اجتماع الضدين بقي القول بالقديم والحادث والدعوى
 يتساوى فيه لأنّه ليس قول من زعم أن العلم كان أولى من
 قول من زعم بأنه لم يكن ولا جواب من قال لِمَ لم يكن
 بأسعد من قول مَنْ قال لِمَ كان فنظرناه فإذا دلائل
 الحدث يشهد بما لا يشهد دلائل القدم ومتى أراد المُحدث أن
 يعارضك في قولك بالقديم فطالبه بصفات القديم فإن
 أعطاك فقد أقرّ بالمعنى وبقي الخلاف في التسمية وهذه مناظرة

جرت بين الموحّد والملحد من أوضح المسائل وأنفعها لا بُدَّ لكلّ
 مُسلم من تحفظها، إن سأل سائل فقال ما الدليل على حدث
 العالم قيل الدليل على حدثه أنّه جواهر وأعراض والجواهر
 لا تخلو من ان تكون مجتمعة أو متفرقة أو ساكنة أو
 متحركة إلا في حال واحدة ولن يجتمع المجتمع بالاجتماع
 ولا يفترق المفترق بالافتراق وكذلك المتحرك والساكن
 والاجتماع والافتراق والحركة محدثة وهو إذا كان
 كذلك ولم تخلُ الجواهر منها فهي محدثة لأنّ ما لم يسبق
 الحوادث ولم يتقدمها فحدث مثلها مثال ذلك أنّ فلانًا لو
 قال إنّ عمروا لم يوجد قطّ في هذه الدار إلاّ وزيد معه ثم
 قال وإنّما وجد فيها زيد أمس فوجب أنّ عمروا إنّما أوجد
 فيها أمس فإن قيل ليس قد وجدتم الباقي الذي ليس
 بمنتهى لا يخلو ممّا لا يبقى وينقضي ولا يوجد بعده متعرياً
 منه فما أنكرتم أنّ القديم الذي لم يزل لا يخلو من حادث
 ولا يوجد سابقاً له متعرياً منه قيل المعارضة فاسدة من قبل
 أنّه ليس ممّا لا يبقى وينقضي عروضاً للحدث او المحدث وإنّما
 عروض ذلك لم يبقَ وانقضى وذلك أنّ قولك لا يبقى

وينقضى الحالة على وقت يأتي به يستحق الحكم بأنه
 منقضى غير باق فلم يكن منكراً لأن يقارن الباقي حتى لا يخلو
 منه اذ لم يسبق الوصف المضاد لوصفه وقولك قد حدث حكم
 قد وجب له في وقته لا ينتظر وجوبه في وقت فاستحال
 أن يقارن القديم حتى لا يكون [٢٥ ٢٥] القديم سابقاً له فإن
 قيل فواجبوا أن يكون الباقي متغريباً ممن لم يبق وانقضى كما
 أوجبتم أن يكون القديم سابقاً للمحدثات موجوداً قبلها قيل
 ذلك يفعل وهو الواجب كما أنه سابق للحوادث فكذلك
 يجب أن يكون باقياً متأخراً عنها ومتى ما لم يكن كذلك
 لم يكن باقياً كما أنه لو لم يسبقها لم يكن قديماً فإن قال اذا
 زعمتم أن المقارن للحوادث حوادث فما ينكرون أن يكون
 المقارن للحوادث أمس حادثاً أمس. قيل لأننا نقول أن الذي
 يقارن للحوادث حادث بالإطلاق ولكن نقول ما لم يسبقها
 فحادث مثلها والجسم فإن قارن الحوادث أمس كان موجوداً
 قبله فلذلك لم يجب أن يكون حادثاً معه وهذه يؤكد
 ما قلنا له كما وجب ان يكون ما لم يسبق الحادث أمس
 حادثاً أمس فكذلك يجب أن يكون ما لم يسبق الحوادث

بإطلاق حادثاً بالإطلاق فلإن قيل أليس لم نشاهد والاعسام
مقارنة لحادث إلا وقد كانت موجودة قبلها مقارنة لحادث
غيرها فهلا زعمتم أن ذلك سبيلها وأنها لم تنزل كذلك قبل
هذا غير واجب لأننا وإن كنّا حكمنا بأن الأجسام التي
شاهدناها كانت متقدمة للحوادث المقارنة لها مقارنة لغيره
فلم نحكم بذلك من طريق الوجوب ولا لأنّ الجسم إنّما كان
جسماً موجوداً لأنّه لا بُدّ من أن يكون متقدماً للحوادث
المقارنة لها مقارنة لغيره لأنّ هذا حدّ الجسم وحقيقته بل
إنّما حكمنا بذلك لأنّنا لم نشاهد جسماً حدث في وقت
مشاهدتنا له ولأنّه صحّ عندنا بالخبر والدليل أن هذه
الأجسام التي شاهدناها قد كانت موجودة قبل مشاهدتنا لها
وصحّ أن الجسم لا يخلو من حادث ولو أنّا شاهدنا جسماً في
وقت لم نشاهده قبله ثمّ لم يَظْم لنا دليل على أنّه كان
موجوداً قبل تلك الحال ولا خير صادق بذلك لما حكمنا
بأنّه قد كان موجوداً قبل الحوادث المقارنة له مقارنة
لغيرها بل كنّا ننخبر^٢ ذلك وننخبر^٣ أن لا يكون سبق ما

١ Ms. احد.

٢ Ms. بحر.

٣ Ms. بحر.

هو موجود معه منها ، فإن قيل ولم جوزتم هذا وهلا قضيت
على كل جسم غاب أو حضر وردّ فيه خبراً ولم يردّ قسام على
تقدمه دليل أو لم يثبتم بمثل^١ ما شاهدتم عليه هذه الأجسام
وقضيت بها عليها من تقدمها الحوادث الموجودة منها ومقارنتها^٢
لغيرها وإلا فكيف تزعمون^٣ أنكم تقضون بالشاهد على الغائب
قيل ليس القضايا بالشاهد على الغائب على ما ظننتموه لأنّه
ليس يجب إذا شاهدنا جسماً على صفة من الصفات أن تقضى
كلّ جسم غاب عنا كذلك إنّما يجب إذا شاهدناه على صفة
ما أن يُنظر هل هو عليها من جهة الوجوب الذى هو حده
وحقيقته أم لا فإن كان كذلك قضينا على كلّ جسم
غاب عنا بحكمه وإلا فلا كما قلتم أن لا جسم فى الشاهد إلا
مركباً من الطبائع الأربع ولا مركباً من الطبائع إلا جسماً ثم قلتم
بأن الافلاك من طبيعة خامسة وله يشاهدوا ذلك فكذلك
إذا لم نر إنساناً إلا أبيض لم يجب القضاء بأن كلّ إنسان

^١ مثل Ms.

^٢ مقارنتها Ms.

^٣ يزعمون Ms.

أبيض أو لم تَرِ رُمانًا إلا حلوا لم يلزم أن لا يكون رُمان إلا
حلوا وكذلك إذا لم تَرِ جسمًا مقارنًا لحادث إلا وقد كان
عندنا متقدمًا له مقارنًا لحادث غيره فلم يكن جسمًا لآئه
كذلك ولا ذلك حده بل حده أن يكون طويلًا عريضًا
عميقًا فلما لم يكن جسمًا لآئه يسبق الحوادث فيوجد مع غيرها
لم يجب أن يكون ذلك [٢٨ ٢٩] حال كل جسم في كل
وقت وهذا أيضًا جواب قولهم إذا لم يروا أرضًا إلا ومن ورائها
أرض ولا بيضة إلا من دجاجة ولا دجاجة إلا من بيضة
فكيف قضيت بخلاف ما شاهدتم فيقال ليس حد البيضة
أن تكون من الدجاجة ولا حد الدجاجة أن تكون من البيضة
وأما الدلائل قامت على حدوثها فإن قال ولم زعمتم أن
الجواهر لا تخلو من أن تكون مجتمعة أو متفرقة قيل هذا من
أوائل العلوم التي تُعرف بالبديهة ولا يترض عليها بالشبه فإن
قال ما الدليل على المجتمع اجتماعًا به كان مجتمعًا والمفترق
افتراقًا دون أن يكون مفترقًا ومجتمعًا بنفسه قيل لو كان
مجتمعًا بنفسه لما جاز وجوده مفترقًا ما دام نفسه موجودة
وكذلك المفترق فدل أن المجتمع مجتمع باجتماع وكذلك

الافتراق ، فإن قيل وما الدليل على الاجتماع والافتراق
مُحدّثان قيل الدليل على ذلك أنا نقصد الجسم المجتمع مفترقة
فيوجد فيه افتراق فلا يخلو ذلك الافتراق من أن كان
موجوداً فيه قبل ذلك أو لم يكن فحدث فإن كان موجوداً
فيه فقد كان مجتمعاً مفترقاً وهذا محال فثبت أنه حدث عند
الافتراق وبطل أن يكون الاجتماع والافتراق كائنين في
الجسم فإن قال ما انكرتم أن يكون الاجتماعات والافتراقات
لا نهاية لها وأنه لا اجتماع إلا وقبلة اجتماع ولا افتراق إلا
وقبلة افتراق قيل هذا فاسد لأنّه لو كان كذلك لما جاز
أن يوجد واحدٌ منهما كما أن قاصداً لو قصد إلى جماعة فقال
لا يدخلنّ هذا البيت أحدٌ منكم حتّى يدخله قبله آخر ما جاز
أن يوجد واحدٌ منهم في ذلك البيت ولو وجد كان في ذلك
انتقاض الشرط فإن قيل فما تنكرون أن يكون الاجتماع
والافتراق خمسين قيل لو كانا كذلك لم يخلُ من أن يكونا
مُجتمعين أو مفترقين باجتماع وافتراق هما هما أو غيرهما فإن
كانا مجتمعين باجتماع هو هما استحال وجود الافتراق فيهما ما
دامت أعيانهما قائمة وإن كانا مجتمعين باجتماع هو غيرهما

احتاج ذلك الاجتماع إلى اجتماع إلى ما لا نهاية له ولا غاية وكل ما لا نهاية له ولا غاية فغير جائز وجود ما في الحال منه وهذه مسألة جارية منذ قديم الزمان ولقد رأيتُ أهل النظر يقحمون أمرها ويرفمون من شأنها ووجدتها في عدة كتب بالفاظ مختلفة فلم أجدها أكمل وأتم من قول أبي القاسم الكبي في كتاب أوائل الأدلة فانبث بها على وجهها وقد ثبت حدث العالم كما ترى فيجب أن يُنظر أأحدث جملة واحدة وضربة واحدة أم شيئاً بعد شيء لأن ذلك كله مجوز في العقل فإن أوجد كما هو فابتدأه حدوثه وإن أوجد منه شيء بعد شيء فابتدأه ما أوجد منه وليس ذلك إلى العقل فيعتمد ولكن سبيله السمع والخبر والناس مختلفون فيه القدماء ومن بعدهم من أهل الكتاب والمسلمون وأنا ذاكر من ذلك ما روى ومُرجح ما وافق الحق إن شاء الله عز وجل،

القول في ابتداء الخلق قرأت في كتاب منسوب إلى رجل من القدماء يقال له افلوطرخس^١ ذكر فيه اختلاف

^١ افلوطرخس. Ms.

مقالات الفلاسفة ووسمه بكتاب ما يرضاه الفلاسفة من الآراء.
 الطبيعية حُكِي عن تاليس الملقى^١ أنه كان يرى مبدأ
 الوجودات الماء منه بدأ وإليه ينحل وإتما دعاه الى توهم
 [٢٥ 26 ٢٧] هذا الرأي أنه وجد جميع الحيوان من الجوهر الرطب
 الذى هو المني فأوجب أن يكون مبدأ جميع الاشياء من
 الرطوبة ومتى ما عدت الرطوبة جفت وبطلت وحُكِي
 أن فيثاغورس من أهل شاميا وهو أول ما سقى الفلسفة بهذا
 الاسم وتاليس أول من ابتداء الفلسفة أنه كان يرى المبادئ
 هي الأعداد المتعادلات وكان يسميها تأليفات وهندسيات
 ويسمى من جملة ذلك اسطقسات ويقول الواحدة والثانية
 لا حدة لهما في المبادئ ويرى أن أحد هذه المبادئ هي العلة
 الفاعلة الخاصة^٢ وهي الله عز وجل والثاني العقل والثالث
 العنصر وهو الجوهر القابل للانتقال وعنه كان العالم المدرك
 بحس البصر وأن طبيعة العدد تنتهى^٣ الى العشرة واذا بلغها

١ Ms. الملقى.

٢ Indication marginale : فى الاصل الخاصه.

٣ Ms. ينتهى.

رجع الى الواحد وأن العشرة بالقوة في الأربعة وذلك اذا
اجتمعت الأعداد من الواحد الى الاربعة استكملت عدد العشرة
وقد ذكر ابن رزام هذا الفصل في كتاب النقض على
الباطنية قال افلوطرخس وكذلك كان الفيثاغوريون^١ يقولون
في الاربعة قسماً عظيماً ويأتون في ذلك بشهادة الشر إذ يقولون
لا وحق الرباعية التي تدبر أنفسنا التي هي أصل لكل طبيعة
التي تسيل دائماً كذلك النفس التي فينا مركبة من أربعة
اشياء وهي العقل والعلم والرأى والحواس ومنها تكون كل
صناعة وكل مهنة وبها كنا نحس أنفسنا فالعقل هو الواحدة
وذلك أن العقل إنما يجري وحده وأما الثانية التي ليست بمجمودة
فالعلم وذلك ان كل برهان وكل اقناع فنه وأما الثالثة فالرأى
لأن الرأى لجماعة والرابعة الحواس وحكى عن رافليطس أنه
كان يرى مبدأ كل شيء النار واليها انتهأؤها وإذا انطلقت النار
يشكل به العالم وأول ذلك أن الخليط منه إذا تكاثف واجتمع
بعضه الى بعض صار أرضاً واذا تحللت الارض وتفرقت أجزاؤها
بالنار صارت ماءً والنار يحلل الأجسام ويثيرها وحكى عن

١. الفيثاغوريون Ms.

انفامس انه كان يرى الهوآ أول الموجودات منه كان الكل وإليه ينحل الموجودات مثل النفس التي فينا وإن الهوآ هو الذي يحفظ فينا الروح والهوآ يُسكان العالم كله والزوج والهوآ يقالان جميعاً لأن على معنى واحد قولاً متواطئاً وحكى عن فيثاغورس^١ أنه كان يرى أن مبداء الموجودات هو المتشابه الأجزاء وأن الكائنات يكون بالغذاء الذي تغتذى به ومن هذه الكائنات يكون معنى المتشابه الأجزاء وعنده أن الاشياء^٢ يدرك بالقل لا بالحوس وهي أجزاء الغذاء وإنما سميت متشابه الأجزاء من أجل أن هذه الأعضاء المكونة من الغذاء متشابهة بعضها يشبه بعضاً فسميت متشابهة الأجزاء وجعلها مبادئ الموجودات وصير المتشابه الأجزاء عنصراً وحكى عن ارسلاوس أنه يرى مبدأ العالم ما لانهاية له وقد يتراض فيه التكاثف والتخلخل فنه ما يصير ماءً ومنه يصير ناراً وحكى عن اسقورس أنه كان يرى الموجودات أجساماً مدركة عقولاً لا خلاء فيها ولاكون سرمدية غير فاسدة لا يحتمل التكسر والتهشم

١. انفساغورس. Ms.

٢. الاسياء. Ms.

ولا يمتزج في أجزائها خلاف ولا استحالة وهي مدركة بالعقل
لا بالحواس وهي لا يتجزأ وليس معنى قوله لا يتجزأ أنها في غاية
الصغر لكن لا تقبل الانفعال والاستحالة وحكى عن
اثادقليس أنه [٢٥ ٢٧ ٢٨] لا يرى الاسطقسات الأربع التي هي الماء
والنار والهواء والأرض وأن المبدأ مبدآن^١ وهما المحبة والغلبة
واحدهما يفعل الإيجاد والآخر يفعل التفرقة وحكى عن
سقراط بن سقريش وافلاطون بن أرسطو الإلهي أنهما يريان
المبادئ ثلاثة^٢ الله والعنصر والصورة زعم المفسرون أن معنى
قولهم الله هو العقل العالم ومعنى العنصر هو الموضوع الأول
للكون والفساد ومعنى الصورة جوهر لا جسم في التخيلات
وحكى عن ارسطاطاليس بن توماجس صاحب المنطق
أنه يرى المبادئ الصورة والعنصر والدم والاسطقسات الأربع
وجسم خامس هو الأمر غير المستحيل وحكى عن دنوهرماوس
أنه يرى المبادئ هي الله تعالى وهي العلة الفاعلة
والعنصر المنفعل والاسطقسات الأربع فهذا جملة ما حكاه

^١ مبديان Ms.

^٢ ثلاثة Ms.

افلوطرخس^١ من أقاويل الفلاسفة في المبادئ وزعم ايوب
الرهاوى في كتاب التفسير أن المبادئ هي العناصر المفردة يعنى
الحر والبرد والبلّة واليبس فكوّنت النار من تركيب الحرّ مع
اليبس وكوّن الهواء من تركيب البرد مع البلّة وكوّن الماء من
تركيب البرد مع البلّة وكوّنت الأرض من تركيب البرد مع اليبس
فصارت هذه العناصر المركبة ثم كوّن من تركيب هذه العناصر
المرکبة الحيوان والنبات ،

ذكر ما حكى أهل الاسلام عنهم ، حكى زرقان في كتاب
المقالات أن ارسطاطاليس قال هيولى قديم وقوة معه لم يزل
وجوهر قابل للأعراض وأنّ الهيولى حرك القوة فحدث البرد
ثم حرّكها فحدث الحرّ ثم قبلهما الجوهر قال وشبه إحداه^٢
الهيولى الحركة بإحداث الانسان الفعل بعد أن كان غير فاعل
له والفعل عَرَض وهو غير الانسان فكذلك الهيولى أحدث
اعراضاً هي غيره ولا يقال كيف أحدثها كما لا يقال كيف حدثت
هذه الحركة من الانسان وحكى [عن] جالينوس أنه قال

^١ . افلوطرخس . Ms.

^٢ . بإحداث . Ms.

بأربع طبائع لم ينفك العالم منها قال وقال سائر الفلاسفة
 بأربع طبائع وخامس معها خلافا لولا هو لما كان للطبائع انتلاف
 على تضادها قال وقال هرمس^١ بمثل مقالة هؤلاء فثبت
 العالم ساكنا ثم تحرك والحركة معنى وهو زوال وانتقال والسكون
 ليس بفعل قال وقال بلعم بن باعورآء العالم قديم وله مدبر
 يدبره وهو خلافة من جميع الملائكة واثبت الحركات فقال ان
 الحركة الأولى هي الثانية معاودة لأن من قوله أن الحركة مع
 اصل العالم والعالم قديم عنده قال وقال أصحاب الاضطراب
 بمثل مقالة بلعم إلا أنهم زعموا أن العالم لم يزل متحركا بحركات
 لا نهاية لها وأنكروا أن يكون، الحركة لها أول وآخر لا أنها ليست
 بمحدثة قال وقال أصحاب الجنة أن العالم لم يزل مصورا قديما
 جنة مضممة فانتقلت الجنة وكان الخلق كامنا فيها فظهر على
 نحو ما يظهر في النطفة والبيضة والنواة قال وقال أصحاب
 الجوهرة أن العالم جوهرة قديمة وأحدية الذات وإنما اختلفت
 على قدر التقاء^٢ الجوهرة وحركاتها فإذا كانا جزءين كانا حرا

^١ Ms. هرمس.

^٢ Ms. التقاء.

وإذا كان ثلاثة أجزاء صار برّداً وإذا كانت أربعة صارت رطوبة
 وزعم أنّ حركة قبل حركة إلى ما نهاية وقد جمع الناشى مذاهب
 هؤلاء كلّهم بلفظة واحدة فقال هم أربع طبقات فطبقة
 قالت [٢٧ ٢٨] يقدّم الطينة وحدث الصبغة وطبقة قالت يحدث
 الطينة والصبغة وطبقة شكّت فلم تدر أقديمة هي أم حديثة
 لتكافئ الأدلة عندها وقد قال جالينوس وما على أن لم أدر
 أقديمة هي أم حديثة وما حاجتى الى ذلك فى صناعة للطب ،
 ذكر مقالات الثنوية والحرائية أصل اعتقاد هؤلاء فى
 الجملة أن المبدأ شيان اثنان نور وظلمة وأنّ النور كان فى
 أعلى العلو وأنّ الظلمة كانت أسفل السفلى نوراً خالصاً وظلمة
 خالصة غير ممّاسين على مثال الظلّ والشمس فامتزجا فكان
 من امتزاجها هذا العالم بما فيه هذا الذى يجمع أصل عقائدهم
 ثم اختلفوا بعد ذلك فزعم ابن ديسان ان النور خالق الخير
 والظلمة خالقة الشرّ بعد قوله بأنّ النور حتى حسّاس والظلمة
 موات فكيف يصحّ الفعل من الموات ولما رأى من فنون ما
 لحق المانوية والديصانية من التناقض والفساد أحدث
 مذهبا زعم أن الكونين النورى والظلامى قديمان ومهما شئ

قديم ثالث لم يزل خلافا وخارجا عن خارجهما وهو الذى حمل
الكونين على المشابكة والامتزاج ولولا ذلك المعدل بينهما لما
كان من جوهرهما إلا التباين والتنافر وزعم كنان أن أصل
القديم ثلاثة أشياء الأرض والماء والنار غير أن المدبر لها اثنان
خير وشر، وأما الحرائية فمختلف عندهم فى الحكاية زعم احمد
ابن الطيب فى رسالة له يذكر فيها مذاهبهم أن القوم يُجمعون
على أن العالم علة لم يزل ويقولون المدبرات سبع واثناعشر ويقولون
فى الهوى والعدم والصورة والزمان والمكان والحركة والقوة
بقول ارسطاطاليس فى كتاب سمع الكيان وزعم زرقان أنهم
يقولون مثل قول المائة وقال بعضهم أن مذهب الحرائية ناموس
مذهب الفلاسفة وما لم يكن يجسر أحد أن يظهر خلافهم، وأما
المجوس فأصناف كثيرة ولهم هوس عظيم وترهات متجاوزة
الحد والمقدار لا يكاد يوقف عليهما فبعضهم يقول بقول الثنوية
وبعضهم على مذهب الحرائية والخرمية جنس منهم يتستر
بالاسلام ويقولون مبدأ العالم نور وأنه نسخ بعضه فاستحال ظلمة
وأما اهل الصين فعامتهم الثنوية إلى كثير ممن يليهم من الترك
وفيه المعلقة الذين يقولون قدم الأعيان وأن العالم لا صانع

له ولا مدبّر والهنود أصناف كثيرة وتجمعهم البراهمة والسمنية
 والمطلّة الأخرى يقولون بالتوحيد غير أنّهم يُطلون الرسالة
 ومنهم المهادريّة يزعمون أنّ المبدأ ثلاثة اخوة أحدهم مهادرز
 فاحتال اخواه في المكر به فعرّث به دابّته فسقط ميتاً فسلخا
 جلده وبسطاه على وجه العالم فصار من جلده هذه الارض
 ومن عظامه الجبال ومن دماءه الأودية والأنهار ومن شعره
 الأشجار والنبات هذا ما بلغنا من مذاهب سُكّان الأرض
 والقدماء في هذا الباب وقد أشرنا إلى فساد مذهبهم ومذهب
 مَنْ يقول بقدّم العالم أو شيء مع الله تعالى بما فيه كفاية وُغنية
 وهذه الحكايات كلّها ان لم يكن شيء منها زُمرّاً أو الفاذاً أو
 تمثيلاً أو روايةً عن كتاب من كتب الله عزّ وجلّ أو رسول
 من رُسل الله أو بوفاق ما جاء منهم أو بشهادة العقول قاطبةً
 فردودة غير مقبولة ومحمولة على تمويه واضعها وتزوير مبتدعها
 وليس في كثرة الترداد والتكرار كثير فائدة ومتى مرّت نفسك
 على تحفظ مسألة إحداث العالم استغنيت عن كثرة الخوض في
 الفروع التي بُنيت على أصل القدم [٢٨ ٢] لأنّه إذا وهى
 البناء وضعف لم يثبت فروعه ولا قامت أركانه ،

ذكر مقالات أهل الكتاب في هذا الباب ، قرأتُ في كتاب
 موسوم بشرائع اليهود أن جماعةً من علمائهم نبّؤا عن التفحص
 عن هذا الباب والشروع فيه وزعموا أنه لا ينبغي للإنسان أن
 يبحث عما يتعجب منه ويخفى عليه وزعم بعضهم أن الشيء الذي
 خلقه الله تعالى في الابتداء سبعة عشر شيئاً خلقها الله بلا نُطق
 ولا حركة ولا فكرة ولا زمان ولا مكان وهي المكان والزمان
 والريح والهواء والنار والماء والأرض والظلمة والنور والعرش
 والسموات وروح القدس والجنة وجنهم وصور جميع الخلائق
 والحكمة قال ومخلوقه ذوات ست وهو محصور بين
 هذه الجهات التي هي الأمام والخلف والعلو والسفل واليمين
 والشمال وزعم بعضهم أن أول ما خلق الله سبعة وعشرون شيئاً
 فذكر هذه السبعة عشر وأضاف إليها كلام موسى الذي سمعه
 وجميع ما رآه الأنبياء والمن والسلوى والنعيم والعين التي
 ظهرت لبني إسرائيل والشياطين واللباس الذي ألبس آدم
 وحواء وكلام الجبار الذي كلم به بلعام هكذا الحكاية
 عنهم والمسطور في أول سفر من التوراة بالعبرانية * برشت مارا
 اليوهيم اث هشومائم واث هو اورس وهو اورس هو ثو ثوهم

وحوش على هي تهوم* يقول أول شيء خلقه السماء والأرض
وكانت الأرض جزيرة خاوية مظلمة على الغمر وريح الله تزع
على وجه الأرض كذا فسره المفسرون فلا أدري كيف خالفته
الحكاية عنهم ضمن التورية ولعلّ بما ذكره في بعض أسفارهم
لأن التورية مشتملة على عدة كتب من كتب الأنبياء والله اعلم
وأما النصارى فدينهم في هذا دين اليهود لأنهم يقرءون التورية
ويقرون بما فيها والضابطون يحرون في مذهبهم فأكثر الناس
على أن دينهم بين دين اليهود والنصارى فإن كان كذلك
فقولهم قولهم وحكى زرقان أن الصابئين يقولون بالنور والظلمة
على نحو ما يقوله المانوية والله اعلم،

ذكر قول أهل الاسلام في المبادئ وما جاء من الروايات فيها،
حدثنا الحسن ابن هشام ببليد قال حدثني ابراهيم بن عبد الله
العبسي حدثنا وكيع عن الأعمش عن أبي طبيان عن ابن عباس
رضي الله عنه قال أول ما خلق الله من شيء القلم قال أكتب
فقال اي ربّي وما أكتب قال القدر فجرى القلم بما هو كائن من
ذلك اليوم الى يوم القيامة قال ثم خلق النون فدحا الأرض
عليها فارتفع بخار الماء ففتق منه السموات فاضطربت النون

فأثبت بالجبّال وان الجبال تنفجر على الأرض
 الى يوم القيامة وحدثنا عبد الرحمن بن أحمد المروزي يروى حدثنا
 السراج محمد بن اسحق حدثنا قتيبة بن سعد حدثنا خالد بن
 عبد الله بن عطاء عن ابي الضحا عن ابن عباس رضى الله عنه
 قال أول شيء خلق الله تبارك وتعالى القلم فقال له اكتب
 ما يكون الى يوم القيامة ثم خلق نون فكبس عليها الأرض
 يقول الله تعالى نون والقلم وما يسطرون وحدثني محمد بن
 سهل باسوار حدثنا ابو بكر بن زيّان حدثنا دعه عيسى بن
 حماد [٢٨٧] عن الليث بن سعد عن ابي هانئ عن ابي عبد
 الرحمن البجلي عن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلعم أنّه
 قال كتب الله قادر كل شيء قبل أن خلق السموات والأرض
 بخمسين ألف عام وقد اختلفت الروايات عن ابن عباس رضى
 الله عنه فروى عنه أول ما خلق الله القلم وروى عنه سعيد بن
 حبيب أول ما خلق الله العرش والكرسى وروى أول ما خلق الله
 النور والظلمة وروينا خلاف ذلك كله عن الحسن أنّه قال
 أول ما خلق من شيء العقل وروى عنه أول ما خلق الله

١ Note marginale : كذا في الأصل .

الأرواح وفي رواية أبي الوليد عن أبي عوانه عن أبي بشر عن مجاهد قال بدء الخلق المرش والماء والهواء وُخلقت الأرض من الماء وحدثني جاتم بن السندی بتكرير حدثنا أحمد بن منصور الرمادي عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلعم خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم كما وصف لكم وأما حديث حماد بن سلمة عن يعلى بن عطا عن وكيع بن حرس عن عمه أبي رزين العقيلي أنه قال قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن خلق السموات والأرض قال كان في عماء ما تحته هواء ولا فوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء فإنه ان صبح وصبح تأويل من تأول العماء السحاب والنعام دل أن خلق النعام المذكور في الخبر والقرآن كان قبل خلق السموات والأرض وقد روى أن النبي صلعم قال كتب الله كتاباً قبل أن يخلق الخلق بألفي عام^١ ووضعه على العرش فإن صحت الرواية دل أن خلق العرش كان قبل سائر الخلق وفي كتاب أبي حذيفة عن حبير عن الضحاك عن ابن عباس رضي

^١ سبقت رجمي غضيبي : Interpolation dans le ms.

الله عنه أن الله لما أراد أن يخلق الماء خلق من النور ياقوتة
 خضراء ووصف في طولها وعرضها وسمكها ما الله به عليم قال
 فخلقها الجبار لحظة فصارت ماء يترقق لا يثبت في ضحضاح
 ولا غير ضحضاح يرتعد من مخافة الله ثم خلق الريح فوضع الماء
 على متن الريح ثم خلق العرش فوضعه على متن الماء فذلك
 قوله تعالى وكان عرشه على الماء وروى عبد الرزاق عن معمر
 بن الأعمش عن ابن حُبَيْر قال سألت ابن عباس رضى الله
 عنه عن قوله تعالى وكان عرشه على الماء فعلام كان الماء قبل
 أن يخلق شيئا قال على متن الريح فإن صحت الرواية عن
 الضحاك دل أن النون قبل خلق الماء وأما محمد بن اسحق
 فإبانه يقول في كتابه وهو أول كتاب عُيِّلَ في بدء الخلق
لقول الله تعالى وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة
أيام وكان عرشه على الماء فكان كما وصف نفسه تبارك وتعالى
 إذ ليس إلا الماء عليه العرش ذو الجلال والإكرام والعزة
 والسلطان فكان أول ما خلق النور والظلمة ميز بينهما فجعل
 الظلمة ليلا أسود مظلما وجعل النور نهارا مضيئا مبصرا ثم سمك
 السموات السبع من دخان الماء حتى استقلن ثم دحا الأرض

وأرساها بالجبال وقدر فيها الأقوات ثم استوى الى السماء وهي
دخان ، لا يختلف أحد من المسلمين ومن يدين الله بالكتاب
والرسالة ان ما دون الله تعالى مخلوق مُحدث وإن لم يذكر
خلقه وإحداثه وإنما مرادنا أن نعرف أول ما خلق الله منه إن
كان ذلك ممكنًا منه . اختلف الرواة عن وهب بن منبه وغيره
من مني [٢٩ ٢٨] أهل الكتاب فروى عن عبد الله بن سلام أنه
قال خلق الله نورًا وخلق من ذلك النور ظلمة وخلق من
تلك الظلمة نورًا وخلق من ذلك النور ماءً يخلق من
ذلك الماء الأشياء كلها وعن وهب بن منبه قال وجدت
فيما أنزل الله على موسى بن عمران عليه السلام أن الله لما أراد
خلق الخلق خلق الروح ثم خلق من الروح الهواء ثم خلق
من الهواء النور والظلمة ثم خلق من النور الماء ثم خلق النار
والريح وكان عرشه على الماء . وسمت بعض الشيعة يزعمون أن
أول ما خلق الله نور محمد وعلي ويروون فيه رواية والله اعلم
بحقها وقد ذكرت حكماء العرب ومن كان يدين الله
منهم بدين الانبياء في أشعارها وخطبها كيف كان مبدأ الخلق

فمنه قول عدى بن زيد المبادى وكان نصرانياً يقرأ
الكتب [بسيط]

اسمع حديثاً لكى يوماً تجاربه عن ظهريب إذا ما سائلُ سألَا
ان كيف أبدى إلهُ الخلق نعمته فينا وعرفنا آياته الأولى
كانت رياحاً وماءً ذا عُرائية وظلمة لم يدع فتقاً ولا خلا
فأمر الظلمة السوداء فانكشفت وعزل الماء عما كان قد شغلا
وبسط الأرض بسطاً ثم قدرها تحت السماء سراً ما مثل ما فعلا
وجعل الشمس مصيراً لاخفاء به بين النهار وبين الليل قد فضلا
قضى لثة أيام خلانته وكان آخر شيء صور الرجل

وقد حكى الفرس عن علماء دينهم وموبذيم أول ما خلق الله
السموات والأرض ثم النبات ثم الانسان،

ذكر تصويب أرجح المذاهب ، أقول ان رأى من رأى تقديم
أحد الأركان على غيره هو مُحْتَلٌ وإِ لاَّتهم يختلفون فى الاستحالة
والفساد وكيف يصح على رأى تاليس الماء وهو عنده مستحيل
من الأرض وعلى رأى براقليطس^١ النار وهى مستحيلة عنده

١ . Ms. . يقدم .

٢ . Ms. . براطيطس .

من الهواء وكذلك سائر الأركان أم كيف يجوز عندهم تولد
حيوان أو تركب نبات من غير اجتماع هذه الأخلاط الأربع
فيها لأن ما تفرد بطبع واحد لا يوجد منه غير حركته الطبيعية
أو من زعم بابتداء البسائط ثم العناصر المركبة فإنه يفحش قوله
لأن البسائط أعراض لا تقوم بذواتها ولا بُد لها من حامل فكيف
يصح وجودها بلا حامل وكذلك من زعم النور والظلمة
لأنهما عرضان لا جسمان والأصح على مذهب هؤلاء ما رأى
اثمادقليس من تقدم الاسطقسات الأربع وفساد هذا ظاهر عند
المسلمين بأن الاسطقسات لا تخلو أن تكون أعراضاً فإن كانت
أعراضاً فالعرض لا يقوم بنفسه أو يكون أجساماً وحد الجسم
ما ذكرناه واثر الحدث مقارن له أو يكون لا أجساماً ولا أعراضاً
فهذا غير معقول عند المسلمين إلا الباري جلّ جلاله فإنه
خلاف خلقه من جميع الوجوه وإذا لم تكن [٢٩ ٣] أجساماً
ولا أعراضاً عندهم فلا بُد أن يكون هو الهيولى الموهوم في
مذهبه وهذا شيء لو كان موهوماً لما جاز وقوع الاختلاف
فيه إلا من مُعاند كما لا يجوز وقوع الاختلاف في المعقول إلا
من مُعاند مع أن الوهم لا يحصر ما لا حد له ولا صفة من

لَوْنٍ أَوْ مَقْدَرٍ أَوْ شَيْءٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ الْحَسُوسَةِ وَجُمْلَةً هَذَا الْقَوْلِ فِي هَذَا الْبَابِ مِرَاعَاةُ اثَرِ الْحَدَثِ فِيمَا سِوَى الْبَارِئِ جَلَّ جَلَالُهُ فَإِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ عُلِمَ أَنَّ مَا كَانَ مُحَدَّثًا فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ ابْتِدَاءٍ وَإِذَا كَانَ لَا يَقُولُ بِحَدَثِ الْعَالَمِ إِلَّا الْمُوَحِّدُونَ لَمْ يَوْجِدُوا ابْتِدَاءَ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ جِهَتِهِمْ وَهُمْ يَخْتَلِفُونَ فِي الرِّوَايَةِ عَنْ عُلَمَائِهِمْ فِي الظَّاهِرِ وَتَتَّفِقُونَ فِي الْمَعْنَى إِذَا انْعَمُوا النَّظَرَ فَأَمَّا أَهْلُ الْكِتَابِ وَمَا حُكِيَ عَنْهُمْ فَحَتَمَلُوا غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْقَطْعُ بِهِ مَا لَمْ يَصِدِّقْهُ كِتَابُنَا أَوْ خَبَرَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَقَعْ فِيهِمْ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ وَلِأَنَّهُ خِلَافُ مَا ذَكَرَ فِي أَوَّلِ التَّوْرَةِ فِي ابْتِدَاءِ الْخَلْقِ فَالَّذِي يُوْجِبُهُ الْعَقْلُ أَنْ يَكُونَ مَكَانٌ كُلُّهُ مَتَمَكِّنٌ سَابِقٌ لَهُ وَإِنْ لَا يَحِلُّ حَرَكَةٌ إِلَّا فِي جِسْمٍ وَلَا يَوْجَدُ إِلَّا فِي زَمَانٍ وَإِنْ لَا يَصِحُّ فَعَلُ اخْتِيَارٍ وَتَدْبِيرٍ إِلَّا مِنْ حَيٍّ عَالِمٍ وَإِنْ لَا يَحْدُثُ شَيْءٌ إِلَّا مِنْ شَيْءٍ وَإِنَّ الْأَرْكَانَ الْأَرْبَعَ سَابِقَةً لِلْأَجْسَامِ فَمَنْ قَالَ بِقَدَمِ هَذِهِ الْمَذْكُورَاتِ دَخَلَ فِي جُمْلَةِ الْمُخَالِفِينَ وَنَقَضَتْ عَلَيْهِ آثَارَ الْحَدَثِ فِيهَا وَمَذْهَبُهُ وَمَنْ قَالَ بِحَدَثِهَا فَمَا حَاجَتُهُ إِلَى تَقْدِيمِ مَا قَدَّمَ مِنْهَا وَقَدْ أَقْرَبَ بِأَنَّ اللَّهَ أَحْدَثَ الزَّمَانَ مِنْ غَيْرِ زَمَانٍ وَالْمَكَانَ فِي غَيْرِ مَكَانٍ وَالْأَرْكَانَ مِنْ غَيْرِ أَرْكَانٍ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُعَمَّدَ فِيهِ شَيْءٌ

من كتب الله فليس يجد في كتاب أول ما خلق ما هو فيقضى على ما خالفه بالرد والإنكار ولا بُدَّ لكلِّ حادث من غاية ينتهي إليها كقولنا الساعة من اليوم واليوم من الأسبوع والأسبوع من الشهر والشهر من السنة والسنة من الزمان والزمان من الدهر فقد انتهى إلى الزمان والزمان غايته وكما نقول فلان من فلان وفلان من فلان كما ترفع مثلاً نسب رسول الله صلعم إلى آدم ثم يقال وادم من تراب فالتراب آخره وكذلك سائر الأشياء الحادثة لا بُدَّ لها من غاية هذا ما يباينه ويشاهده فلذلك وضعنا ما روينا عن أهل الكتاب على وجه الاحتمال فقد ذهب بعض أهل الاسلام إلى أن أول ما أحدث الزمن العلويّ وهو وقت يظهر فيه الفعل ليس السفليّ الذي هو من حركات الفلك ثم المصنّاع الذي هو غير متجزئ ولا متماسك وهو فضاء بسيط ذاهب خلاّ مُحيط بالعالم قال وليس الهواء من الفضاء في شيء لأنّ الهواء جسم متجزئ ومنتشر وليس الخلاّ بمتجزئ ولا محسوس ومعنى قوله التجزئ أن الخلاّ لا يدخل العالم منه شيء إلا يتخلله بثةً والهواء ما بين السماء والأرض ولا يخلو منه شيء والخلاّ ما فيه السماء والأرض

والهواء. ثم الأجسام بأعراضها كذا رأيت في بعض كتبهم
والله اعلم فاذا سأل سائل عن ابتداء الخلق فجوابه أن ما
دون الله مخلوق نعم سؤالك عن العالم العلوي أم العالم السفلي
أم عن الآخرة الموعودة أم عن الدنيا الفانية [٣٥٠ ٣] لأن كل
شيء من هذه الأشياء ابتداء منه ابتداءً ونشؤ فإن قيل هل
غير الدنيا والآخرة شيء قيل العرش والكرسي والملائكة
واللوح والقلم وسدرة المنتهى مخلوقة كلها ولا تعد من
الدنيا ولا من الآخرة وكذلك الجنة والنار والصراط والميزان
والصُور والأعراف والرحمة والمذاب مخلوقة عند كثير من
الأمّة ثم من بعدهم من أهل الكتاب ولا يُعد من الدنيا
ولا من الآخرة فإن قيل فقد قال الله تعالى فله الآخرة
والأولى ولم يذكر شيئاً غيرهما قيل ولم يذكر الأشياء
غيرهما مع أكثر أهل التفسير يقولون معناه لله الحكم في
الآخرة والأولى وقد قال رسول الله صلعم ما بعد الموت
مستعيب ولا بعد الدنيا إلا الجنة والنار لأنه لا شيء غيرهما
. وإنما يصح هذا إذا عرفت الدنيا والآخرة ما هما على أنه لا عيب

على من عدّ ما ذكرناه من أمر الآخرة ولا مضايقة فيه
 بعد أن اعتقدها كما جاءت به كتب الله وينبغي
 أن يعلم أن كلّاً دون الدنيا روحاني حيواني خُلِقَ للبقاء
والخلود على الأبد لا يجوز عليه الانحلال والدثور بقول
الله تعالى وإنّ الدار الآخرة لهُ الحيوان لو كانوا يعلمون،
 ذكر أول ما خُلِقَ في العالم العلوي من الحيوانات يدلّ
 على أن أول ما أوجده الله تعالى القلم واللوح على رواية
 أبي ظبيان عن ابن عباس ثم العرش والكرسيّ على رواية
 مجاهد وقد قال قائلٌ أن أول ما خُلِقَ الروح والعقل
 على رواية الحسن لأنّ في رواية ابن عباس انه قال
 للقلم اكتب فقال اي ربّ وما اكتب والأمر في
 الحقيقة والجواب لا يصحّ ألا من حيّ عاقل قال ثم الحجب
 ومنها النعام والنور والملائكة ثم الرحمة والمذاب يعني الجنة
 والنار والصراط والميزان وغير ذلك ممّا ذكر وأول ما
 خلق في العالم السفليّ من الحيوانات الماء والهواء كما
 قال مجاهد وُخِلِقَت الأرض من الماء فهذه أركان العالم
 ثم النور والظلمة ومن الناس من يفرق بين النور العلوي

والتور السفلي بأن هذا جسم لطيف وذلك روح خالص مع اختلافهم في الروح أجسم هو أم غير جسم وسيمر بك في بابيه مشروحاً مفسراً ان شاء الله عز وجل فاذا سأل سائلٌ مِمَّ خُلِقَ الخلق قيل ان الخلق اجزاء مختلفة فمن أى جزء من اجزاء الخلق سؤالك ولن يجاب حتى يشير الى ما أردنا فإن سأل عن الأرض قيل من زبد الماء كما جاء في الحديث والخبر وان سأل سائلٌ عن السماء قيل من دخان الماء وان سأل عن الكواكب قيل من ضوء النهار وان سأل عن الأركان المركبة قيل من البسائط المفردات وان سأل عن البسائط قيل يمكن أن يكون خُلقت مما خُلِقَ قبلها ويمكن ان يكون خلقت لا من شىء لا تأ نرى الله يخلق الشىء من الشىء ويخلق من لا شىء وقد دللنا على أن لا شىء غير الله تعالى إلا مخلوق وان الله ابتدعه ببدنًا لا من شىء كما شاء ما لا حاجة الى إعادة القول فيه

بقول الله تعالى بديع السموات والأرض وقال الله خلق كل دابة من ماء وقال الله خلقكم من نفس واحدة وقال خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجن من مارج

من نار مع سائر ما وصفت أنه خلقه من خلق خلقه قبله
 [٣٠ ٣] وكذلك يفعل الشيء بسبب ويفعله بلا سبب موجب
قال الله تعالى وانزل من السماء ماء فاخرج به من
الثمار رزقا لكم فأخبر عزّ وجلّ أنه جعل سبب
إخراج الثمر والنبات إنزال الماء وكذلك جعل سبب
كون الإنسان النطفة وسائر ما يوجد ويحدثه وقد
أوجد أمهات هذه الأسباب بغير سبب موجب لها بل بقدرته
وحكمته وان سأل سائل فيم خلق قيل فيم سؤال عن
المكان ولا مكان ألا وهو مفتقر الى مكان وقد سبقت
الدلالة على فساد الحلول بما ليست له نهاية فلو قال
القائل أن العالم لا في مكان لكان قولاً لأنّه ليس بأعجب
من إقراره بإيجاد الأعيان لا من غير سابقة وقد قيل
أنّه في خلأ وهو مكان له وزعم آخرون أن العالم بعضه
مكان لبعض وفي كتاب وهب بن منبه ان السموات والجنة
والنار والدنيا والآخرة والريح والنار كآها في جوف الكرسي
فإن صحت الرواية كان الكرسي مكاناً لهذه الأشياء والله
اعلم وأحكم،

وان سأل كيف خلق قيل كيف سؤالٌ يقتضى التشبيه في
الجواب وليس تعلم العالم مثلاً غيره فنشبهه به ولكننا مشاهدين
له عند احداثه ولا فعل الله تعالى بحركة ولا معالجة والكيفية
منتفية عن فعله كما هي منتفية عنه سبحانه فإن اردتُ كيف
أوجده من عدم فكيف تراه اجساماً وجواهر حاملة للأعراض
قال له كن فكان كما أخبرنا عنه وإن اردتُ شكلاً وهيئةً
لفعله فهذه من حالات الأعراض التى تتعاقب على المخلوقين
فإن سأل سائل متى خُلق قيل متى سؤالٌ عن المدة والوقت
من الزمان والمدة عندنا من حركات الفلك ومدى ما بين
الأفعال وقد قامت الدلالة على حدث الفلك ولا يُطلق
المسلمون القول بأن الله تعالى لم يزل يفعل لأن ذلك يوجب
ازلية الخلق ويؤدى الى قول من يرى المعلول مع العلة حتى
يكون بين فعل سابق له الى ان فعل العالم مدة وقد زعم بعض
الناس أنه أحدث زماناً أوجد فيه العالم كمن قال إنه أحدث
مكاناً أوجد فيه العالم فقال قوم الزمان ليس بشئ وإن سأل
سائل لِمَ خلق قيل لِمَ سؤالٌ عن العلة الموجبة للفعل وفاعل
ذلك مضطر غير مختار والمضطر مقهور مغلوب ولا يجوز ذلك في

صفة القديم فإن اردت بالآلة الغرض المقصود في الخلق فهو
ما ذكرناه في أول هذا الفصل انه خلق الخلق لرأفته
ورحمته وجوده وقدرته ليفهم ولأكلوا من رزقه ولتقبلوا
في نعمته ويستحقوا شرف الثواب بطاعته ،

الفصل السادس

في ذكر اللوح والقلم والعرش والكرسى والملائكة والصُور
والصِراط والميزان والحوض والاعراف والثواب والعقاب
والحُجُب وسدرة المنتهى وسائر ما يرويه الموحّدون ممّا يُعدّ
من أمور الآخرة واختلاف من اختلف فيها ،

ذكر اللوح والقلم قال الله تعالى في محكم كتابه ن والقلم وما
يسطرون وقال في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون وقال
وكلّ شيء [f° 31 r°] احصيناه في امام مبين وقال ما فرطنا في
الكتاب من شيء وقال في لوح محفوظ قال أكثر المفسرين
أنّه لوح وقلم خلقهما الله كما شاء وألهم القلم أن يجري بما أراد
وجعل اللوح واسطةً بينه وبين ملائكته كما جعل الملائكة
واسطةً بينه وبين رُسُلِهِ ورُسُلُهُ واسطةً بينه وبين خلقه
وهذا لا يختلف فيه موحّدٌ ولا يسوغ الاختلاف فيه لظاهر

النص من الكتاب والسنة فإن خطر خاطر بأنه آية
فائدة في اللوح والقلم فليقل له بأن أسرار حكمة الله عز وجل
عن العباد محجوبة إلا ما أطلعهم عليه وما طوى عنهم فليس
إلا التصديق به والاستسلام له بقول الله عز وجل يحيو الله ما
يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب واعلم ان الكلام في هذا
الفصل مع من يؤمن بالله وملائكته وكُتبه ورُسله لأن هذا
سبيله سبيل الخير والسمع والمسلمون وأهل الكتاب قاطبة قد
تلقوه بالقبول وقد قال قائل أن الله تبارك وتعالى لما أراد
ان يخلق الخلق علم ما هو كائن وما هو مكوّنه فأجرى القلم
به في اللوح وروى فيه اخبار مسطرة في كتب أهل الحديث
رضينا بما صح منها واستسلمنا له وجاء في ذلك القلم أن طوله
ما بين السماء والأرض وأنه خلق من نور وفي صفة اللوح
أنه لوح محفوظ طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين
المشرق والمغرب معقود بالعرش يصبك ما بين عيني اسرافيل
وهو أقرب الملائكة إلى العرش فإذا أراد الله تبارك وتعالى
أن يحدث في خلقه شيئاً قرع اللوح جبهة اسرافيل فأطلع
فيه فاذا فيه ما أراد الله تعالى بقول الله يحيو الله ما يشاء

ويثبت وعنده أم الكتاب فيأمر به جبرئيل أو من يليه من
 الملائكة وأكثر أهل الدين على أن البارئ لا يُسَمَّع كما أنه
 لا يُلمَس وإنما يُسَمَّع كلامه كما يلمس خلقه هذا قول أهل
 الإسلام وقد ذهب قوم من المستترين بالدين إلى تأويلات
 مكروهات مردودات فزعم بعضهم أن معنى القلم العقل لأنه
 دون البارئ جلَّ وعزَّ في الرتبة وجرى بنفسه لأنَّ العقل يدرك
 الاشياء بغير واسطة قال ومنى اللوح المحفوظ النفس لأنه
 دون العقل في الرتبة يدبرها العقل كما جرى القلم في اللوح
 المحفوظ وزعم أن القلم واللوح غير محدثين ولا مخلوقين وقد
 دللنا على حَدَث العقل والنفس في الفصل الثاني بما يجري عليهما
 من الزيادة والنقصان والسهو والضعف والثقل^١ والتجزؤ بتفرق
 الهياكل والأجسام وحاجة العقل إلى التجربة والامتحان وحاجة
 النفس إلى الغذاء والقوام ما فيه كفاية وبلاغ وذلك أن
 القديم البارئ لا يجوز عليه شيء من هذه العوارض وزعم
 آخرون أن اللوح هو العالم السفلي والقلم العالم العلوي يؤثر في
 السفلي وبعضهم يزعم أن القلم هو الروح واللوح الجسد وأهون

^١ Ms. والثقل.

الأمر انكار اللوح والقلم وسائر ما وصف من أمر الآخرة
والدخول في الإلحاد المحض حتى يقع الكلام معهم من حيث
ينبغي أن يقع لأن هذه الأشياء من شرائع الأنبياء عليهم السلام
فكما لم يوجبها العقل فكذلك لا يرده تأويلها إلى العقل
بل تسلم كما جاءت ، وفي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس
رضي الله عنهما إن الله تعالى خلق لوحاً محفوظاً من دُرّة بيضاء
دفتاه ياقوتة حمراء قله نور وكلامه بر [٣١٧] ينظر الله
فيه كلّ يوم ثلثمائة وستين نظرة يُحيي بكلّ نظرة ويُميت بكلّ
نظرة ويرفع ويضع ويُعزّز ويُذلّ ويخلق ما يشاء ويحكم ما يريد
والله اعلم واحكم وقد دللنا لك أن كلّ ما كان من أمر
الآخرة فروحانيّ حيوانيّ وإن شارك جسمانيّاً في الأسماء فمن
ذلك قوله دُرّة بيضاء وياقوتة حمراء ،

ذكر العرش والكرسيّ وحملته العرش قال الله تبارك وتعالى
ورزى الملائكة حافين من حول العرش وقال ويحمل عرش
ربك فوقهم يومئذ ثمانية فذكر العرش في غير موضع من كتابه
وقال وسع كرسية السموات والارض فلم يجز وقوع الاختلاف
فيه بين المسلمين لظاهر شهادة الكتاب وأنما اختلفوا في

التأويل فقال بعضهم أن العرش شبه السرير واستدلوا على قولهم بقوله أيكم يأتي بيعرشها وقوله ورفع أبوه على العرش وكثير من أهل التشبيه يذهب إلى أنه كالسرير له وهو مذهب أهل الكتاب ومن كان من العرب بدينهم يدل عليه قول أمية بن أبي الصلت

[كامل]

شدّ القطيع على المطايا ربنا كل بنعماء الإله متبّد
فاصحن^١ واقترش الرحائل شرجع^٢ نفع على اثابجهن موصد
بنصوص ياقوت وكظا برشه هول^٣ ونار^٤ دونه تتوقد^٥
فملا طولات القوائم فاستوى فوق الجلود ومن أراد مخلص

وقال أيضاً [خفيف]

مجدوا الله وهو للمجد أهل ربنا في السماء أمتى كبرا
ذلك المنى^١ الحجارة والموتى وأحيائهم^٢ مكان جديرا
بالنآ^٣ الأعلى الذي سبق لنا س^٤ وسرى فوق السماء سريرا
شرجما لا يناله بصر^٥ لنا س ترى دونه الملائك ضورا

^١ كذا في الأصل : Note marginale :

^٢ Ms. يتوقد .

وقال لبيد [كامل]

لله نافذة الأجل الافضل وله العلى وليت كل مؤثّل
سوى فأغلق دون غرفة عرشه سبعا طباقا دون فرع المغفل

وقال كثير من المسلمين أنّ العرش شئ خلقه الله لمتهى علم
عباده وتعبّد الملائكة بتعظيمه والطواف حوله ومسئلته الحوائج
عنده كما تعبّد الناس بتعظيم الكعبة واستنجاح الحوائج لديها
والصلوة^١ له اليها لا أن يكون ذلك مكانا له أو حاملا جلّ
وتبارك الباري ان يكون محمولا أو محدودا أو مُحاطا وبعضهم
يقول العرش الملك ويتأول قوله الرحمن على العرش استوى
قال استولى على الملك واحتجّ بقول الشاعر [طويل]

إذا ما بنو مروان ثلث عُروشهم وأودت كما أودت إباد وجنيد

[٣ 32 ٣] وأما الكرسي فخلق مثل العرش وقد رُوي عن الحسن
أنّه قال الكرسي هو العرش وجاء في بعض الروايات أنّ
الكرسي بين يدي العرش كبدرة بأرض فلاة والسموات السبع.

١ الصلاة Ms.

والأرضون السبع وما فيها بمنجب الكرسي كحلقة من حلق
الدرع في أرض فيحاء ومن المسلمين خلق كثير يذهبون إلى أن
الكرسي هو العلم واستدلوا بقوله تعالى وسع كرسيه السموات
والأرض قالوا معناه أحاط علمه بها وبما فيها والكراسي العلماء
وانشدوا بيتاً [طويل]

تَحَفُّ بهم بيض الوجوه وُعْبَةٌ كراسي بالإحداث حين تَدُوب

وقد روى أصحاب الحديث أن الكرسي موضع القدمين
والله أعلم بصدقته وتأويله إن صح لأن مذهبنا تسليم ما
قُصِرَ عنه علمنا ، وأما حملة العرش الملائكة خَلِقُوا لذلك
فيُوصَف من اقدارها واجسامها ما الله به عليم قالوا وهم
اليوم أربعة وجه أحدهم على صورة وجه النسر والثاني كوجه
الأسد والثالث كوجه الثور والرابع كوجه الرجل فإذا
كان يوم القيامة ضُمَّت إليهم أربعة أخرى بقول الله
سُبْحَانَهُ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ وفي رواية
أبي اسحق أن رسول الله صلعم أنشد قول أمية بن أبي
الصلت [كامل]

جس السرافيل الصّوائى تحته لا واهن منهم ولا مُسترغذ
رَجُلٌ وثوَدٌ تحت رِجْلٍ يمينه والنسرُ للأخرى وليثُ مرصدُ

فقال عليه السلم صدق هكذا الرواية والله اعلم بصدقها
وقد يستدرج أهل الزيج الانغمار من الاحداث بالأول والثانى
والثالث والرابع ينعون بالأول القلم وهو عندهم العقل والثانى
اللوح وهو عندهم النفس وبالثالث العرش وهو عندهم الفلك
المستقيم والضابط للأفلاك والرابع الكرسي وهو فلك البروج
عند بعضهم لأنّ النجّمين مختلفون فى هذا التقسيم والملائكة
الذين هم حملة العرش الأركان الأربع وهذه الاشياء عندهم
لم يزل ولا يزال فكيف يصحّ الخبر عنها بالأول والثانى والثالث
لأنّ كلّها أوائل عندهم كما يزعمون وما الفرق بينهم وبين من
عارضهم من المشبهة بأنّ العرش ممهد والكرسيّ مُستقرّ القدمين
مع وفاق ظاهر اللفظ لتأويلهم لبُعده عن تأويل الزائعين
لأنّا لم نجد شيئاً فى كتب النجّمين وأهل الطبائع بأنهم سَوّوا
العقل قلماً والنفس لوحاً والفلك عرشاً يعرفونها باسمائها المشهورة
عند سامعيها ونعوذ بالله من الخزلان والحرمان وسوء الاختيار
والعجز عن إتباع الحقّ،

في ذكر الملائكة وما قيل في صفاتها، روى المسلمون أنَّ الملائكة خلقت من نور وذكر ابن اسحق أنَّ أهل الكتاب يزعمون أنَّ الله خلق الملائكة من نار والنار والنور واحد في معنى اللطافة والضوء ويمكن التوفيق بين الخبرين بأن ملائكة الرحمة خلُقوا من نور وملائكة العذاب خلُقوا من نار ولا نعلم أحداً ممن يدين الله بدين إلا وهو مُقرٌّ بالملائكة وإن كانوا مختلفين في قِدمها وحدوثها وهيئاتها فنه قول أُمِّية بن أبي الصلت

[كامل]

يتنابذه المتنصفون بسُجرة في ألفِ ألفٍ من ملائكَ^١ يحشُدُ
 [٣٠ ٣٢] رُسُلٌ يجرون السماءَ بأمره لا ينظرون ثواءً مَنْ يتقصَّدُ
 فهُمُ كأوبِ الرِّيحِ بينا أدبرَتْ رنجبتُ يراى وجهها لا تكردُ
 حُذَّ منابكهم على أصكتافهم ذُفَّ يَزِفُ بهم إذا ما استنجدوا
 وإذا تلاميذُ الإله تمازوا غلبوا ونَشَطهم جناحُ مُعْتَدُ
 نهضوا بأجنحة فلم يتراكلوا لا مُبْطِئُ منهم ولا مُسْتَرْغَدُ

واختلف المسلمون في عدم البصر والحواس لهم فمن قائل أنَّ

^١ ملائكة Ms.

البصر يفقدهم^١ للطافة أجسامهم واجزائهم لا لون لها البصر لا يدرك إلا ذا لون وكذلك قالوا أليس نحس بها وهي معنا حَفَظَة علينا والهواء أغلظ واكثف من الملائكة فإذا كنا لا نُحس به حَدَثًا من حركة واضطراب فكيف بالروحانيين الذين هم أطف وأطف وقالوا فيما ناقضهم المخالفون به من صفة الله إياهم في كتابه بالظلة والشدّة فقال ملائكة غلاظ شداد وما جاء من عظيم صفاتهم وعُظم أجسامهم وإن الملك كان يأتي النبي صلعم وعلى آله في صورة الرجل وكذلك سائر الانبياء انه غير منكر ان يحدث الله تعالى في الملك شيئاً ومعنى يرى ويُشاهد إذا أراد ذلك كما يحدث في الجو فيتركب وينعقد غمام من أجزاء الهباء لا يدركها البصر ثم ينحل ويتفرق حتى لا يرى كما كان أولاً وكذلك حال الجنة والسياطين وسائر الروحانيين من الخلق وايضاً فإن الملك سُقَى هذا الاسم لدؤوبه في الطاعة وانقياده لما يُراد منه تخصيصاً وتفضيلاً فغير بعيد ان يكون الملائكة أصنافاً روحانياً وجسمانياً ونامياً وجامداً وقد جاء في بعض الأخبار أن

^١ تقدم Ms.

الرعد ملك والنار ملك والملائكة يسجدون جنود الله ورُسُلُه
 وسفراؤه واوليآؤه بقول الله عز وجل ولله جنود السموات
 والأرض وقيل الجراد جند من جنود الله والنمل جند من جنود
 الله ألا ترى أنه لما بلغ معاوية أن الاشتراك قد أمر فسقى سمًا
 في سويق وعسل قال ما أردتها على الفؤاد إن لله جنودًا
 من عسل وقيل الأرض ملك والسماء ملك حتى عدد أكثر
 أجسام العالم واحتجوا بقول الله عز وجل قالتا اتينا طائعين
 والقول هو الأول فإن كان جائزًا إطلاق اسم الملك على
 هذه الأشياء فيكون مجازًا لا حقيقة ،

ذكر اختلاف الناس في الملائكة ما هي أما المسلمون وأهل
 الكتاب فيقولون هم خلق روحانيون كما ذكرناه آنفًا
 وكان مشركوا العرب يزعمون أن الملائكة بنات الله وأنه
 صاهر الجن فولدت له قال الله تعالى وجعلوا الله شركاء الجن
 وخلقهم وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا وقالت
 الحرائية الملائكة النجوم وهي المدبرات للعالم وهو أحدث
 الباطنية فزعمت أنها سبعة واثنا عشرة وتأولت قوله عليها
 تسعة عشر والخرمية يستون رُسُلهم الذين يترددون فيما بينهم

ملائكة وأما المجوس فلا يُذكرون الملائكة وانهم خلق
غائب عنهم ويسمونهم شتاسبندان في ملتهم الإقرار بهم
والتصديق وزعم قوم أن الملائكة هي النفوس الصافية وذلك
أن الإنسان إذا بالغ في الارتياض [٢٥ ٣٣ ٣] بمعرفة حقائق
الاشياء واجتهد في اقتناء الفضائل واختيار المحامد اتّصل بالعالم
العلويّ فصار عند مفارقة الهيكل عقلاً خالصاً ونفساً صافيةً
فيسمونه حينئذ الملك قالوا واقصى الدرجات في الأسفل
النبوة وهي تُنال بالعلم والعمل وفي الأعلى الملائكة وهي
ينالها من نال النبوة في الأسفل وزعمت فرقة أن الملائكة
أباض من الله واجزاء وعندهم أنه تبارك وتعالى شيء بسيط
روحاني وسأهم أمة في شعره تلاميذ الله وأعوانه مع
مقالات كثيرة متباينة وليس هذا الباب مما يُدرك بالعقل
ولكنه يُعرف فإذا كان هذا سبيله فلا معنى لرد ما سبيله
الحبر إلى غير الخبر،

ذكر صفات الملائكة روى ابن اسحق الواقدي أن النبي
صلّى الله عليه وعلى آله وسلم قال ألا أحدثكم عن ملك
من ملائكة الله أذن لي ربي في الحديث عنه قالوا بلى يا رسول

الله قال إنَّ لله ملكًا قد نفذ بقدمه الأرض السفلى ثمَّ
خرج من هوأ ما بين ذلك حتَّى أن هامت له تحت العرش
والذى نفس محمد بيده لو سُخِّرَت الطير فيما بين عنقه الى
شحمة أذنه لحففت فيه سبعمائة عام قبل أن يقطعه وروى ابن
جُرَيْج عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه أن النَّبِيَّ صَلَّى
قَالَ لَجِبْرِيلَ إِنِّي أَحَبُّ أَنْ أَرَاكَ فِي صُورَتِكَ الَّتِي تَكُونُ عَلَيْهَا
فِي السَّمَاءِ قَالَ لَا تَقْوَى عَلَى ذَلِكَ قَالَ بَلَى قَالَ فَأَيْنَ
تُحِبُّ أَنْ أَتَخَيَّلَ لَكَ قَالَ فِي الْإِبْطَحِ قَالَ لَا يَسْنَى قَالَ
بِعِرْفَاتٍ قَالَ ذَلِكَ بِالْحَرَى فَوَاعَدَهُ^١ ذَلِكَ وَخَرَجَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِلْوَقْتِ فَإِذَا هُوَ بِجِبْرِيلَ قَدْ أَقْبَلَ
مِنْ جِبَالِ عِرْفَاتٍ وَقَدْ مَلَأَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَسَدَّ الْخَافَقِينَ
رَأْسُهُ فِي السَّمَاءِ وَرِجْلَاهُ فِي الْأَرْضِ وَلَهُ كَذَا أَلْفِ جَنَاحٍ يَتَنَثَرُ
مِنْهَا التَّهَاقِيلُ فَلَمَّا رَأَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَّ مُغْشًى عَلَيْهِ فَتَحَوَّلَ جِبْرِيلُ
عَنْ صُورَتِهِ إِلَى صُورَةٍ الَّتِي كَانَ يَأْتِيهِ فِيهَا وَهِيَ صُورَةُ دُجَّةٍ
الْكَلْبِيِّ وَهُوَ ابْنُ خَلِيفَةَ بْنِ فُرُوه الْكَلْبِيِّ فَضَمَّهُ إِلَى صَدْرِهِ
فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ مَا ظَنَنْتُ أَنْ لَّهِ تَعَالَى خَلْقًا يَشْبَهُكَ قَالَ يَا

^١ فواعده Ms.

محمد فكيف لو رأت اسرافيل رأسه من تحت العرش ورجلاه
 في تخوم الأرض السابعة وان العرش لى كاهله وانه يتضال
 أحياناً من مخافة الله تعالى حتى يصير كالصعوة وما يحمل عرش
 ربك إلا عظمته وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال ان لله
 ملكاً البحار كلها في نقرة إبهامه وعن كعب الاحبار انه قال
 ان لله ملكاً السموات على منكبه يدور بها كما تدور الرحا
 وعن ابن مسعود رضى الله عنه في صفة ملائكة العذاب
 قال ما منهم ملك إلا ولو أمره الله أن يلتقم السموات
 والأرض وما فيهما من شئ. لهان ذلك عليه لما عظم الله من
 أجسامهم. وقد جاء في صفة ملائكة الرحمة وملائكة العذاب
 وصفة جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وغير هؤلاء^١
 من الملائكة ما يعتقد المؤمن الإيمان به والتسليم له وجاء
 في صفة حملة العرش أنهم ملائكة قدر قَدَمُ أحدهم مسير
 سبعة ألف سنة ولهم قرون كقرون الوعول وقيل العرش
 على كواهلهم وقيل على مناكبهم ناشية في العرش والله أعلم
 وأحكم ، وروى ابو حذيفة عن مقاتل عن عطاء ان الله يبعث

١ هاولاً. Ms.

جبرئيل كل يوم الى جنة عدن فيغس بجناحيه في نهرها ثم
يحمي فينفضها [٢٥ 33 ٧٥] فيسقط من كل جناح سبعون ألف قطرة
يخلق الله من كل قطرة ملكا قال وما يقطر من السماء الى
الأرض قطرة ألا ومها ملك يزل الى الأرض ثم لا يعود اليها
قال وما في السموات موضع شبر إلا وفيه ملك قائم أو ساجد
أو راكع لم يرفع رأسه منذ خلق فاذا كان يوم القيامة رفع رأسه
فيقول سبحانك ما عبدناك حق عبادتك قال ولله ملك
موكل بالسحاب فاذا وضع قدمه في البحر مده واذا رفعها جزر
قال والملائكة أربعة جبرئيل ملك الرسالة واسرافيل ملك
الصُور وعزرائيل ملك الموت وميكائيل ملك الرزق ورؤى عن
علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال الرعد ملك
موكل بالسحاب يسوقه من بلد الى بلد معه كذا من حديد
كلما خالفت سحابة صاح بها والبرق مصممه السحاب به وروى
ابن الأنباري في كتاب الزاهر ان السحاب ملك يتكلم بأحسن
الكلام ويكي ويضحك والرعد كلامه والبرق ضحكه والمطر
بكاؤه وعن كعب لولا ان الله وكل بطعامكم وشرابكم في نومكم
ويقتلكم من يذب عنكم ليحفظكم بقول الله تعالى له مُعَقَّبَات

من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر [الله] وروى هشام
 ابن عمار بن عبد الرحيم بن مطرف عن سعيد بن سلمة عن
 ابان عن انس رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لله
 ملكا له ألف رأس في كل رأس ألف وجه في كل وجه
 ألف فم في كل فم ألف لسان يُسَبِّح الله ويُقَدِّسه كلُّ
 لسان بألف لغة من التسبيح فهذا وما أشبهه موقوف على
 صحة الخبر وصدق الراوى إذ ليس يمتنع عن الباري سبحانه
 وتعالى شئ وما عسى أن يقوله قائل وهو مُصدّق بابتداع
 الله أعيان هذا العالم لا من عين سابقة فمن لم يعجز عن هذا
 فليس عن أعجب منه بماجز واذا كانت أحوال الملائكة كما
 وصفنا من إطلاق اسم الملائكة على الجماد والموات فغير بديع
 ما حُكي عنهم وقد قيل الريح ملك وقيل من نَفَسِ مَلَكٍ
 وأذكرُ أنى حاجنى رجل من البهافريرية^١ وهم صنف من
 المجوس أطلبهم للغير وآلفهم عن الأذى فى دفتنا موتانا ما تغينا
 بذلك فقال ان الأرض مَلَكٌ وانتم تلقمونه الموتى فكيف
 تستحسنون ذلك وقد يرى بعض الناس ان الشياطين كل

^١ البهافريرية Ms.

شريز داعر^١ والملك كل خير فاضل ومذهب الدايير ما
حكيانه ووصفتاه،

القول في الملائكة أمكثون أم مجبورون وهم أفضل أم
صالحو المسلمين قال قوم هم مضطرون الى افعالهم مجبورون
عليها ورؤى عن ابن عباس أنه قال في قوله يسبحون
الليل والنهار لايفترون ان التسبيح لهم بمنزلة النفس لنا
وقال آخر هم مكثفون مجبورون لأن الله تعالى يقول
ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم ولايصح
الوعيد على غير المقدور عليه وقد قال أتى جاعل في الارض
خليفة قالوا اتجمل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح
بحمدك ونقدس لك قال انى اعلم ما لا تعلمون فدل هذا
القول منهم على اختيارهم وقال لا يعصون الله ما امرهم
ويعملون ما يؤمرون ولولم يكونوا قادرين على المعصية لما كان
يمدحهم بترك المعصية ومعنى قوله يسبحون الليل والنهار لايفترون
مدح لهم على المواظبة على الطاعة أو لا يقطعهم عنها ما يقطع
الناس من الحوائج والأشغال وقول ابن عباس رضى الله عنه أن

^١ كذا في الأصل Ms. marg.

التسبيح سهلٌ عليهم كالنفس [f° 34 r°] في سرعة الموائاة
 والمطاوعة ويجوز ان يكون من تسبيحهم ما هو اضطرار ومنه
 ما هو اختيار فان قيل اذا كانت الطاعة منهم باختيار فهل لهم
 على ذلك من ثواب فمن قائل ان ثوابهم تقريب المنزل
 ورفع الدرجة وآخر انه زيادة القوة على الطاعة وتجديد الجِدِّ
 والنشاط في العبادة وآخر انه اخدامهم أهل الجنة وليس
 الثواب ككله المَطْعُمُ والمشربُ لانهم ليسوا بذوى أجسام
 مجوّفة فيلجئهم الحاجة الى ما يحتاج اليه ذوو الاجسام المجوّفة
 وقد قيل أن ثوابهم ان يستجيب دعاؤهم في الموحدين وذلك
قوله تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد
ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل
 شيء رحمةً وعلماً الآية فطاعتهم مذ خُلِقوا ان يستجاب في
 الموحدين ولهم مسئلة وتضرع وطاعتهم بعد ذلك بشكر
 وبعرف^١ واختلفوا في الملائكة وصالحى المؤمنين أيهم أفضل
 فذهب كثير من المسلمين إلى تفضيل الملائكة واحتجوا
بقوله تعالى قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب

^١ كذا في الأصل. Indication marg.

ولا اقول لكم انى ملك وقوله تعالى فيما يحكى عن الشيطان
ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة ألا ان تكونا ملكين
او تكونا من الخالدين وقول صواحب يوسف ما هذا بشرًا إن
هذا إلا ملك كريم وقوله تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون
ما يُؤمرون وقوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقوله
ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم فى البرّ والبحر ورزقناهم من
الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً فلما لم يُقَلْ على
من خلقنا علما ان هاهنا من هو أفضل منهم قالوا وهل
يستوى حال من لا يعصى قطّ وحال من لا يتعزّى عن معصيته
وكيف بفضيلة عمل مَنْ أَقْصَى عُمره مائة سنة وفضيلة مَنْ
عُمره الأبد وذهب إلى أنّ صالحى المؤمنين أفضل لمكابدتهم
مشقة الطاعة مع منازعة الشهوة وممانعة الشيطان والعمل
بالغيب خوفاً وطمعاً وأنّى يقع طاعة من أَصْفَى عن شوائب
الهوى وأخلص من مزاحمة^١ الشهوة وأمدّ بظلّ العصمة وحُرّس
من الوسوس من طاعة مجبول على الهوى مطبوع على الشهوات
موكل به اعداء من نفسه وجنسه وشيطانه وأنما يستحق

١ مزاج. Corr. marg.

العمل تمام الفضيلة باحتمال الكذب والنفاق، والمشقة فيه قالوا
 وليس ينكر^١ ان الملائكة أفضل من الناس ومن كثير من
 أهل الاسلام حتى تكرمنا^٢ ما تلاه خصمنا من الآيات وإنما
 تفضيلنا فاضلي المؤمنين وصالحهم وقد أسجدهم الله لصفته
آدم ءمّ فهلاً كان ذلك على سبّقه بالفضيلة وقال جلّ
وعزّ وان تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح
 المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير فقدم صالحى المؤمنين
 بالذكر لفضيلتهم على كثير من الملائكة وليس فى وجوب
 الإيمان بهم أكثر فضيلة من وجوب الإيمان بالمؤمنين قال
 الله عزّ وجلّ يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ثم هم مع ذلك
 خولُ لبني آدم وحفظة عليهم وقد روى فى الحديث ان
 الملائكة سألو الجنة فقال الله سبحانه لا أجل صالح
 من خلقت بيديّ كمن قلت له كن فكان ورؤينا عن كعب
 أنه قال رغب الله فى الملائكة العقل بلا شهوة وفى
 البهائم الشهوة بلا عقل وفى ابن آدم كليهما فمن غلب عقله

^١ نكر. Ms.

^٢ تكرمنا. Ms.

شهوته فهو خير [٣٤ ٣٥] من الملائكة ومن غلب شهوته
عقله فهو شرٌّ من البهائم واحتج بعض المتأخرين بقول شاعر
مدح ابن موسى الرضا ويقال هي لأبي نواس [خفيف]

قِيلَ لِي أَنْتَ أَوْحَدُ النَّاسِ فِي كُلِّ مَقَالٍ مِنَ الْكَلَامِ النَّبِيِّ
لَكَ مِنْ جَيْدِ الْكَلَامِ نِظَامٌ يُجَنِّى الدُّرَّ مِنْ يَدَيِ مُجْتَنِبِهِ
فَلَمَّا ذَا تَرَكْتَ مَدَحَ ابْنِ مُوسَى وَالْحِصَالَ الَّتِي يَجْمَعْنَ فِيهِ
قُلْتُ لَا أَهْتَدِي لِمَدْحِ إِمَامٍ كَانَ جِبْرِيلُ خَادِمًا لِأَيِّهِ

ذكر ما جاء في الحجب اعلم ان الحجاب لا يوجب حداً على
الارسال لان الله محبوب عن خلقه ولا يطلق القول بأنه
محدود لأن الحجاب يحتمل وجوهاً من المعاني وروى وهب بن
ابي سلام سأل رسول الله صلعم هل احتجب الله بشئ عن
خلقه غير السموات فقال نعم بينه وبين الملائكة الذين
هم حملة العرش سبعون حجاباً من نور وسبعون حجاباً من نار
وسبعون حجاباً من ظلمة حتى عد خمسة عشر وفي حديث المراج
فانتهيت إلى بحر من بحر اخضر فنودي ان ارح محمداً في
النور رجا وذكر عدة بحار من أنوار ومن المسلمين من يستعظم

القول بالحجاب كيف وقد روى حمّاد بن سلمة عن عمران
الحرّاني عن زرارة بن أوفى قال قال رسول الله صلعم
يا جبرئيل هل رأيت ربك قال يا محمد بيني وبينه سبعون
حجاباً من نور لو دثّوث من أدناها لاحتقرت وفي حديث أبي
موسى الأشعري لو انكشفت سُبُحات وجهه لاحترق ما عليها
من شيء ويسير هذا كله ما روى عن الحسن انه قال
ليس شيء أقرب إلى الله تعالى من اسرافيل وبينه وبين رب
الغزة سبع حجب من حجاب الغزة وحجاب الجبروت والعظمة
وليست مما يوجب الحد في الاحتجاب لانها ليست بأجسام
حاملة بين الحاجب والمحجوب ولكنه يمثل في بُعد وقوع
الحواس وقطع الاطماع في الإحاطة به والاختصاص بالعظمة
والسلطان دون خلقه ومثل هذا ابلغ عند العباد وتعظيم الباري
وتفخيم قدره للرغبة إليه والرهبة منه اذ اكثرهم يرون ما
لا يُدرّكه حواسهم ولا يتصور في أوهامهم باطلاق لا شيء
ويبدل على هذا التأويل ما روى في الخبر العظمة إزارى
والكبرياء ركابي فمن نازعتهما ألقىته في النار ولا أبالي فهل

يرض لسامع شك في أن العظمة لا يتر بها والكبرياء لا يتردى
بها ولكن الوجه ما ذهبنا إليه واللّه اعلم ، وصفة الحجب
موجودة في أشعارهم قال بعضهم [طويل]

لك الحمد والتعماء والشكر ربنا فلا شيء أغلى منك حداً وأمجداً
ملك على عرش السماء هيين لعزته تغنوا الوجوه وتسجد
فلا بشر يسو إليه بطرفه ودون حجاب النور خلق مؤيد

ذكر ما جاء في سدره المنتهى وهي مذكورة في كتاب الله
عز وجل روى أنها على هيئة شجرة [٣٥٣] يمر الراكب في
ظل قنن منها ^١ سنة قبل ان يقطعها ثمرها كالقلال وورقها
كآذان الفيلة يأوى إليها أرواح الشهداء والصديقين في
صورة فراش من ذهب بقول الله عز وجل عند سدره المنتهى
عندها جنة المأوى اذ يغشى السدر ما يغشى وقد ذكرها
حسن في شعره

مقام لدى سدره المنتهى لأحمد لا شك للمتري

١ كذا في الأصل Lacune; note marginale

وقوله تعالى عندها جنة المأوى يردُّ قول من يزعم أنَّ السدرة
 الشجرة التي كان النبي صلعم [تحتها بحراء] اذ نزل عليه جبرئيل
 بالوحي اللهم الا ان يشبهه بقوله^١ [إن منبري هذا [نز]عة
 من نزع الجنة وقوله عم بين قبري ومنبري روضة من رياض
 الجنة فيكون مذهباً وكذلك قوله عم الجنة تحت ظلال
 السيوف غير أنَّ الاخذ بالظاهر على القول الأول أعرف
 وأشهر والاخبار به أكثر قالوا وإنما سُميت سدرة المنتهى
 لأنها منتهى علم العلماء فلا يعلم أحدٌ من الملائكة والأنبياء
 ما وراءها إلا الله وحده وسمتُ بعض القرامطة يتأولها عليهم^٢
 بحراء محمد صلعم ما علمه وأفشاه السر إليه لما رأى فيه من
 الامارات وتوسمه فيه فض الله أفواههم وخيب آمالهم،

ذكر الجنة والنار لا أعلم أحداً من أهل الأديان يُنكر
 الجزاء من الثواب والعقاب وان اختلفوا في صفته واسمه
 ومكانه ووقته لأن في ابطال الجزاء ابطال الأمر والنهي
 والوعد والوعيد وإجاعة افعال الخلق وارسالهم ويؤدى ذلك

^١ Addition marginale.

^٢ Lacune.

^٣ Note marginale كذا في الأصل.

إلى تسفيه الصانع وتجهيله أو الإلحاد والتعطيل وهذه المسئلة
معلّقة بأصل التوحيد وذلك أنّه لما قامت الدلالة على
إثبات البارئ جلّ وعزّ وقدرته وحكمته لم يجوز أن يكون
شيء من أفعاله غير حكمة وصواب فعلمنا أنّ الحكيم لم
يخلق هذا الخلق عبثاً ولا لعباً ولا سهواً ولم يأمرهم ولم
ينهمهم إلّا للثواب الذى عرضهم له والعقاب الذى حذرهم
وحاشى لله سبحانه وتعالى على أن تظنّ به غير الحقّ فالجزاء
يوجبهُ مُوجب التوحيد وحجّته حجّته ثم لطباق أكثر أهل الارض
على الإقرار به من أعظم الحجج اذا كانت المعارضة يكشفها
حجّة العقل واجتماع الخلق فأى عذر بمدّها لمتخاف عنها أو
مائل الى ضدّها وان أحسّ من نفسه بفترة فأولى به أن
يتهم عقله دون عقل المؤمنين والأئم والأجيال فأمّا القول فى
أنيّة الجزاء وماهيّته أجنّة ونار [ام] غيرهما فشىّ يتبع فيه الاختيار
ولو شاء الله يجوزى بغيرهما كما شاء ولكن المعلوم من الثواب
النعمة والاعتباط والمعلوم من العقاب المكروه والنكال ولا نعمة
أعظم من دوام البقاء ولا عقوبة أبلغ من النار التى هى
أكلة الأضداد

ذكر اختلاف الناس في الجنة والنار قرأت في شرائع
الحرانية أن البارئ عز وجل وعد من أطاع نعيماً لا يزول
وأوعد من عصى العذاب بقدر استحقاقه وهذا ناموس أكثر
القدماء ومنهم من يزعم أن النفس الشريرة التي عاثت في هذا العالم
وأفسدت وآذت إذا فارقت هيكلها حُبست في الأثير وهي نار
في أعلى علو العالم والنفس الخيرة التي استفادت الفضائل تعود
إلى عنصرها الأزلّي ومنهم من زعم أن الفاضل يعلو في العلو
والراذل يتسافل فيبقى في الظلمة والحمود وقد قال
أرسطاطاليس [٣٥ ٧٠] أن العلو الأعلى محلّ الخلود وأن السفلى
الأسفل محلّ الموت وعامة أهل الهند يُقرّون بالجزأ والذين
يهلكون أنفسهم بأنواع العذاب من القتل والحرق والفرق
يزعمون أن جوارى الجنة يختطفنّه قبل زهوق نفسه وأنما
أثبت هذا لأبين لك إقرارهم بالجنة في كفرهم وجهلهم
وأهل الكتاب مُجمعون على الإقرار به لأن ذكر الجنة
والنار في غير موضع من كتابهم إلا أنهم مختلفون في صفاتها
بالجنة فتسمى بالعبرانية برديسا وبالعبريّة كنعاذن ويزعم طائفة

‘ Ms. سفل ; la bonne leçon est donnée en marge.

من اليهود أنّه إذا كان يوم القيامة أظهرت جهنم من وادي^١ وأحرّث نارًا في الوادي ونُصب عليه جسر وأظهرت الجنة من ناحية بيت المقدس وأمر الخلق أن يسيروا عليه فمن كان منهم برًّا جرى مثل الريح ومن كان منهم آثمًا تهافت في النار وزعمت فرقة منهم أنّ الجنة والنار يفتيان وذلك بعد ألف سنة من وقت أن صار الناس إليهما ثمّ يصير أهل الجنة ملائكة وأهل النار دميًا وزعم آخرون أنّهما لا يفتيان أبدًا وأما المتناسخة وأنهم يرون الجزاء في النسخ والمسخ ويزعمون أنّ من استمرّ على طبع من طباع السباع والبهائم حول إلى صورته عقوبة له ومن تباطى الحق وكفّ عن الأذى وتجمّل بالجميل حول في صورة ملكٍ أو قائد أو رئيس وهذا مذهب كثير من القدماء، ومن المعطلة من لا يُنكر الجزاء في الدنيا بالفقر والفاقة والآلام والأحزان ما ارتكبه من قبيح والسّعة في الدنيا والراحة والفرح واللذة جزاء ما عمله من جميل ويزعم السنيّة من المنوّد أنّ من كان قليل الخير

^١ Laoune remplacée dans le ms. par trois points . et note marginale كذا في الأصل.

يصير كاسف البال رث الهیة یأقی لأبواب فلا یتصدق علیه
ومن كان كثير الخير یصیر مایكًا عظیمًا عزیزًا فمن أطعم الطعام
أصاب القوة لأن البدن تقوى بالطعام ومن كسا الثياب أصاب
الجمال ومن أوقد فی الظلم أصاب حُسن العیش لأن الصباح
یطرُد الظلمات،

ذكر اختلاف المسلمين فی الجنة والنار اعلم أنهم فیها علی
ثلاث فرق فزعمت المعتزلة إلا أبا الهذیل وبشر بن المعتز أنهما
لم یخلقا بعد وأنهما یخلقان يوم القيامة وَاِجَاز النَجَّار أن یكونا
خُلِقتا وأن لم یخلقا بعد وأنهما یخلقان يوم القيامة وقال
سائر المسلمين أنهما مخلوقتان مفروغ منهما واحتجوا بآی من
القرآن وأحادیث من السُّنة فمنها قیل ادخل الجنة قال یألت
قومی یعلمون وقوله تعالى وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ وقوله تعالى وجنة
عرضها السموات والارض أعدت للمتقين فهل یجوز أن یعد غیر
مخلوق وجاء فی الحديث أن الله خلق الجنة كذا وكذا بصفات
مضبوطة فی الكتب وقال واتقوا النار التي أعدت للكافرين
وقال النار یرضون علیها غدواً وعشیاً وقال ویا آدم اسكن

انت وزوجك الجنة وقال مخالفوهم أن الجنة والنار ثواب وعقاب والثواب والعقاب لا يستحقان إلا بعد وجود الأعمال الموجبة لهما قالوا ولو كانت الجنة مخلوقة فأين مكانها وهي لا تسعها السموات والارض لقوله عرضها السموات والارض وتأولوا كل ما في القرآن والسنة من ذكرهما على العِدَّة المنتظرة وقد قال الله عز وجل ان الأبرار لفي نعم وان الفجار لفي جحيم فأخبر عنهم وليسوا في الوقت قالوا وغير ممتنع على الله تعالى أن يخلق كل يوم جناتاً ويفنيها أو يبقياها^١ [١٥ 38 ٣٩] كما يشاء وان ينعم أرواح الطيعين في جنة يخلقها لهم أو في غير جنة ويعذب أرواح الظالمين في نار أو في غير نار وقالوا وقد سبقت عدته في افناء ما خلق وثوابه وعقابه غير فائزين أبداً فإن كانا موجودين فلا بُد من فنائها وذلك خلاف وعده فلا مبدل لكلماته قال خصمآؤهم ليست الجنة والنار ثواباً ولا عقاباً إنما هما مقر الثواب والعقاب فيها يُثاب ويُعاقب والاستثناء قد تناولهما من الفناء والهلاك لقوله إلا ما شاء ربك ولحكمة عليها بالسرمدية

١. يبقيا Ms.

والأبدية وكما أنه وعد أن يُفنى الخلق فكذلك وعد أن لا يفنيهما ثم اختلف هؤلاء في مكان الجنة فقال بعضهم هي في الآخرة والآخرة مخلوقة وقال بعضهم بل هي في عالم لها ولله عوالم الخلق ما يشاء وقال بعضهم بل هي في السماء السابعة سقفها عرش الرحمن وروى خبراً وزعم بعضهم أنها مخلوقة ولا يُدْرَى أين هي وليس يجب أن يمسكها الله في مكان كما أمسك العالم لا في مكان قالوا والنار تحت الأرض السابعة السُّفلى وروى فيه خبراً

ذكر صفة الجنة والنار أجمع ما في القرآن لوصفها قوله تعالى وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون وأجمع خبر فيها خبر أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه عز وجل أعددت لبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وبأله ما اطلعتم عليه قال أبو هريرة رضي الله عنه ومصدق هذا في كتاب الله عز وجل فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ورواه حمزة بن حبيب عن المنهال بن عمرو عن محمد بن

الحنفية^١ أن النبي ﷺ قال حدثوا عن الجنة بما شئتم قلن
تحدثوا عنها بشيء إلا وهي أشد منه فمن هاهنا استجاز من
استجاز صفة الجنة والنار بما لم يأت في الرواية لأن الوصف
وإن أفرط في الوصف لم يَعدْ مَدَى خاطر همته وغاية معرفته
لا بلغ كنهه ما فيها ولا بفضه لأن نعم الله ونعمه فوق ما يُحصيه
المُحصون إذ لا غاية لها ولا نهاية أبدًا وقد سُئل رسول
الله ﷺ عن أهل الجنة فقال جُرْدٌ مُرْدٌ مكملون من أبناء ثلث
وثلاثين سنة هذا من طريق حماد بن سلمة عن علي بن مريد
عن المسيب عن أبي هريرة وفي رواية أخرى من أبناء ثلث
وثلاثين سنة على سنّ عيسى وصورة يوسف وقلب إرميم
وطول آدم وصوت داود ولسان محمد صلى الله عليه وعليهم
اجمعين وقال أبو هريرة إن أهل الجنة ليزدادون جمالًا وحُسنًا
كما يزدادون في الدنيا قباحة وهرمًا وأنكر قوم من أهل
الكتاب الأكل والوطئ في الجنة وذلك أن منهم من
لا يرى البعث إلا للأرواح فكذبهم الله في القرآن بذكر
الطعام الحواري التي وصفها في الجنة وروى^٢ عن النبي ﷺ

^١ الحنفية Ms.

^٢ وروى Ms.

لما يذكر الجنة قال إن الرجل منهم يُعطى قوة ألف رجل في
الطعام والجماع قالوا وكيف المس يا رسول الله قال دحماً
دحماً إذا قام عنها رجعت مطهرة بكرةً بذكر لا يملّ وفرج
لا يحفى وشهوة لا تنقطع فقال يهود من أكل ينوط فقال
النبي صلعم [٣٨ ٧] ولا يتغوطون وإنما هو عرق يفيض من
أعراضهم مثل البسك فتشمر له بطونهم وسئل عن النوم
فقال صلعم النوم أخو الموت وأهل الجنة لا يموتون وسئل
عن الولد قال فتنة وروى أنه قال لو أرادوا لكان حمله
ووضعه ونشوه في ساعة واحدة وسئل عن المرأة التي يكون لها
زوجان لمن تكون في الجنة ففي رواية حذيفة أنه قال
تكون لآخر زوجيها ولما خطب معاوية أم الدرداء قالت
لست أبني بأبي الدرداء بديلاً سمعته يقول قال رسول الله
صلعم المرأة لآخر زوجيها ولذلك جرم أزواج النبي صلى الله
عليه من بعده ليكن أزواجه في الجنة وروى عن الحسن أنه
قال تخير المرأة فاختار أحسنهما خلقاً وسئل ضمرة بن حبيب
أيدخل الجنة فقال نعم واستدل بقوله تعالى لم يطمئن أنس

قبلهم ولا جان فلا ناس انسيات ولجن جنيات وسئل ابو العالية
 عن اوقات الجنة قال كمثل ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس
 لاشمس فيها ولا قمر ولا ليل ولا نهار وهم في نور أبداً وانما يعرفون
 مقادير الليل والنهار بارخاء الحجب وفتح الابواب وسئل الحسن
 عن الحور العين فقال عجائزكم هولاء العنّس الرّمص وتلا
انا انشاناهن انشاء فجملناهن ابيكارا الآية فقال ويمطون
 أزواجاً غيرهن من الحور العين وفي حديث ابن المبارك عن
 رشيد بن سعد عن ابن أنعم ان من دخل من نساء أهل الدنيا
 الجنة فضّلن على الحور العين بما علمن في دار الدنيا وهذه
 الأخبار أتينا بها لشهرتها عند عوام الأمة واستغنائها عن الأسانيد
وسئل عن قوله عز وجل وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ
 الاعين فلو اشتهت ما يستقبجه العقول كالقتل والنصب
 والظلم ونكاح الاخوات والبنات فأجابهم المسلمون بأن هذا
 وما أشبهه مما لا يشتهون في الجنة لأنّها ليس فيها كما
 لا يشتهون الموت والمرض والذلّ والفاقة لأنّها ليست فيها
 فتحبس طباعهم عن التشوّق إلى ما يستقبح في العقول وينسون

ذكرها واعلم هداك الله أن كل ما وصف به من ذهبها
وفضتها وجواهرها وطيبها وطعامها وسائر ما وصف منها كآلها
على الحقيقة في الاسماء الكثيفة كما خلقت جواهر الأرض
وثمارها بقول الله عز وجل وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو
كانوا يعلمون وروى عن ابن عباس رضى الله عنه عن أسامة بن
زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سُئل عن الجنة فقال نور يتلألأ
وحدثنا الحسن بن هشام العبسى عن وكيع عن الأعمش عن ابن
عباس رضى الله عنه قال ليس في الجنة شئ مما في الدنيا
إلا الاسماء،

ذكر صفة النار وأهلها أجمع آية في وصف النار قوله
والذين كفروا لهم نار جهنم لا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف
عنهم من عذابها وأجمع خبر فيها خبر محمد بن الحنفية وإن كان
مُرسلًا حدثوا عن التارب بما شتم فلن تحدثوا عنها بشئ إلا وهي
أشد منه والذي يوجب القياس الشديد أن يكون كل ما وصف
به النار من أغلالها وانكالها وحياتها وعقاربها وأوديتها ومقامها
وسائر ما ذكر في القرآن والأخبار خلاف ما هو في الدنيا
كما قلنا في صفة الجنة وإن يكون الجمع بينهما من جهة الاسم

لا من جهة المعنى لأن النار دار خلود كما أن الجنة دار
خلود [٣٧ ٣٨] وسئل ابرهيم النخعي عن صفة نار جهنم فقال
ناركم هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنم ولقد ضرب بها
البحر مرتين ولولا ذلك لما انتفختم بها وسئل الحسن عن
النار فقال يصير البحر ناراً ثم تلا وإذا البحار سجرت فقال
يفجر بعضها من بعض ثم يرسل عليها من الجنوب ريحاً ويسلط
عليها الشمس حتى يسجرها فتصير ناراً فجعلها الله محبساً لأهل
المعاصي وزعم قوم أن النار مخلوقة اليوم وأنها تحت تخوم
الأرضين السفلى والبحار هي الحاجة عن الخلق وأن حرارة
الشمس وحى الصيف مؤخرها* ورووا أن النار اشتكت فقالت
أكل بعضي بعضاً فأذن لها في نفسين نفس في الصيف
ونفس في الشتاء وأراك أشد ما يكون في الحر والبرد وفي
الصباح من الحديث ابردوا بالظهر فإن في شدة الحر من فيج
جهنم واستعظم قوم بقاء ذى روح في النار وذلك لقصور
علمهم لأن النار ضروب كالآثار الذي يزعمون في علو الهوا*

* فيصير. Ms.

* مؤخرها. Ms.

وكالنار الكامنة في الحجر والشجر وقد سُئل ابن عباس رضى
الله عنه فيما رووا فقال النيران أربع نار تأكل وتشرب
وهي ناركم هذه ونار لا تأكل ولا تشرب وهي النار في
الحجر ونار تشرب ولا تأكل وهي نار الشجر ونار تأكل
ولا تشرب وهي نار جهنم تأكل لحومهم ولا تشرب دمائهم
فلذلك يبقى أرواحهم فأخبر أن نار جهنم خلاف النيران
التي ذكرها بقول الله تعالى كلما فضجت جلودهم بدلناهم
جلودا غيرها فأخبر سبحانه أنه يُبدل لهم الجلود لتبقى لهم
الأرواح لا تأتي عليهم النار فيُفنيهم وقد أَرانا الله من قدرته
فيما ركب عليه طباع بعض الحيوانات ما دلّنا به على جواز بقاء
ذى روح بالخلد كالنمل التي تأكل النار ولا يضرّها والطائر
الذى يدخل النار فلا تُحرقه وما أراه جعل ذلك إلا عبرة
فدلّنا على جواز بقاء الحياة في أهل النار وآلا فما جاز في طباع
الحيوان الاعتداء بالنار والحديدة المصمّاة وجاء في صفة أهل
النار بالعجب الفظيع فمن ذلك ما روى أنه سُئل أبو
هريرة رضى الله عنه عن قوله تعالى ومن يثقل يأتى بما غل
يوم القيامة وكيف يأتى من غل مائة بئر ومائتى شاة فقال

أرأيت من كان ضرسه مثل الأُحد وفخذه مثل ورقان وساقه
 مثل البيضاء ومجاسه ما بين المدينة الى الربذة وعن الربيع بن
 أنس قال مكتوب في الكتاب الأول أن جلد أحدهم أربعون
 ذراعاً وبطنه لو وُضع فيه جبل لوسعه وأنه ليبي حتى يصير
 في وجه أخايد من الدمع لو طُرح فيها السُنن لجرّت كذا
 الرواية والله أعلم ، وأعلم أن كلّ ما يُوصف من الجنة والنار
 فسيله السمع والخبر وما موجب العقل فالأصل الذى هو
 الجزاء فلا تشتغل بجواب السائل عن الصفات إذا كان مُنكراً
 للأصل حتى يُقرّ به ،

ذكر اختلاف الناس في بقاء الجنة والنار وفنائها قرأت في
 شرائع الحرائين أن للعالم علة لم يزل وأنه واحد لم يتكثر
 ولا يلحقه وصف شيء من المعلومات كلف أهل التمييز الإقرار
 بربوبيته وبمَث الرسل للدلالة وتثبيت الحجة فوعدوا من
 أطاع نعيماً لا يزول وأوعدوا من عصى عذاباً بقدر استحقاقه
 ثم ينقطع وقال بعض أوائله أنه يعذب سبعة [٣٧ ٧] آلاف
 دَورٍ ثم ينقطع العذاب ويصير الى رحمة الله تعالى والهند على
 كثرة اختلافها يجمعها نخلتان السنية المطلة والبراهمة الموحدة

وكلهم مقرّون بالجزاء وأنّ العذاب سينقطع يوماً والسمنية تقول
 ان الثواب والبقاب موجودان في هذا العالم بالحواسّ جزءاً ما
 اكتسبته النفوس باقية خالدة فاعلة وفعلها الإيجاد بالأجساد
 وأنها لا يزال ساكنة الأبدان فإذا فارت جسدًا لم تعد
 فيه أبدًا وأنها تتناسخ على فعلها لا يأتي أمراً إلا على قدر هواها
 وهمتها فإذا اجتاحت السيئات أثرت تلك الأفعال في
 جوهرها وصار غرضاً لازماً لها فإذا فارت الجسد ذهبت
 بذلك التأثير إلى الجنس الذي لا يلايم همتها فتلاسه فيصير
 ذلك السبب إلى المكروه وهو التناسخ في أجساد الحيوان
 ككله من الموام والانعام والآنم والطير في البر والبحر قالوا
 وأشدّ ذلك كله إذا حوّلت في جسد حيوان تحت الأرض
 حيث لا ماء ولا معمورة ويطول عذابها بالجوع والعطش والحرّ
 والبرد ثم تُجوّء^١ إلى جهنم وعذابها وذلك نهاية العذاب وأخرا
 ثم يعود من جهنم القهقري إلى وجه الأرض للعمل قالوا وأتى
 عملت الصالحات والأفعال الفاضلة بالضدّ ممّا وصفنا فيلبس
 الجمال والبكمال والصحة والأمن والقوة والإنس والنشاط

والمُلك والمزّ وطيب النفس ويصير آخر ذلك كلّهُ الى
الجنة فيمكث فيها بقدر استحقاقها ثم يرجع الى الدنيا للعمل
قالوا والجنة اثنان وثلثون مرتبة ويمكث أهلها في أدنى مرتبة
منها أربع مائة ألف سنة وثلاثون ألف سنة وستّائة
وعشرين سنة وكلّ مرتبة أضاف ما دونها بحساب يطول عدده
قالوا والنار اثنان وثلثون مرتبة ثم وصفوها بجانب الصفات
من الحريق والزهرير وزعموا أنّ من قتل شيئاً من الحيوان
دون الناس قُتل به مائة مرة ومرة ومن قتل إنساناً قُتل به
ألف مرة ومرة قالوا وليس عُضْرُ من الأعضاء فجع او سمج
خلقته إلا وقد أتى صاحبه بذلك المُضو داهية من الدواهي
هذا أصل التناسخ ومنهم انتشر في سائر الأمم وليس من
أمة من الأمم إلا وهي مُقرّة بالجزاء كما ذكرنا إمّا التناسخ
وإمّا الذخر في الآخرة وأجمعوا أنّ العذاب بقدر الاستحقاق ثم
ينقطع وزعم كثير من اليهود أنّه إذا أتى على الجنة والنار ألف
سنة بعد ما صار اليهما أهلها فنيّتا وتمطّلتا وصار أهل الجنة
ملائكة وأهل النار رميماً واحتجّوا بقول الانبياء الاثنى عشر^١

أنه مكتوب في سفر يهوشوع^١ أن الله يقول إن تمسكت
أمرى وأتممت ميثاق أعطيتك موضعاً وسطاً هولاء الواقفين
قدامى وقال فى أهل النار يصيرون رمياً تحت أرجل معاشر
أهل الجنة وسمت رجلاً من يهود عليهم اللعنة يزعمون أن
منهم من يقول أن العالم ينقضى فى كل ستة ألف سنة
ويمجد وأن يوم السبت يوم الحساب ومقداره ألف سنة ويوم
الأحد يوم الابتداء والله اعلم بما قال وكثير منهم يقول
يقا الجنة والنار على الأبد ويحتجون بقول شعيا فى سفره أن
أهل الجنة يخرجون ويرون أجساد الذين عصوا لا يموت
أرواحهم ولا تحمد نارهم والمجوس يزعم أن السى^٢ يجازى
بقدرة استحقاقه بعد موته [٣٨ ٣] بثلاثة أيام كفاء ما فعل
سواء لا زيادة ولا نقصان ومنهم من يزعم أن الجنة والنار فى
الدنيا بأرض الهند مع هوس كبير وتخليط ظاهر،

ذكر اختلاف الناس فى هذا الفصل زعمت طائفة منهم
أنه لا بد من فناء النار وانقضائها يوماً ما رَوَوْا فيه روايات
فرووا عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال يأتى على جهنم

١. يهوشوع. Ms.

زمان تخفق^١ أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما لبثوا أحقاباً
 وعن الشعبي جهنم أسرع الذارين خراباً وعن عمر رضى الله
 عنه وأرضاه لو لبث أهل النار في عدد رمل عالج لكان لهم
 يرجون واحتجوا بأشياء من باب التعديل ولم يختلفوا في بقاء
 الجنة على الأبد وقالوا آخرون أنها مؤبدتان دائمتان لا تفنيان
 ولا تزولان واحتجوا بأنه لم يكن لنعم الله انتهاء وجب ان
 لا يكون لنقمه انقضاء ورووا عن الأوزاعي انه ذكر هذه
 الروايات التي احتج بها الأولون وقال قيد كان الناس يرجون
لأهل النار الخروج عند قوله خالدين فيها ما دامت السموات
والارض إلا ما شاء ربك وقوله لا يئس فيها أحقاباً فلما نزلت
في المائدة وهي آخر ما نزل في القرآن يريدون ان يخرجوا
 من النار وما هم بمخارجين منها ولهم عذاب مقيم علموا انها
 لا تفنى ابداً فإن قيل كيف يجوز على الحكم العدل ان
 يعاقب على جرم منقض بعقوبة غير منتضية قيل هو الجزاء
 على السواء وكما انه لم تقصر مدة عمره على الكفر في دار
 الدنيا وجب ان لا يقصر عنه العذاب مدة عمره في الآخرة

^١ سحق Ms.

وأيضاً فإنَّ نعمة ما لم تكن مهية وجب ان لا يكون نعمة
 شتية وقد كانت الرب في جاهليتها تؤمن بالحزاء ومن نظر
 منهم في الكتب كان مُقرأً بالجنة والنار فنه قول أمة [وافر]

جَهَنَّمَ تِلْكَ لَا تَبْغَى بَقِيًّا	وَعَدْنُ لَا يَطَالُهَا رَجِيمٌ ^١
إِذَا جَهَنَّمَ ثُمَّ قَارَتْ	وَأَعْرَضَ عَنْ قَوَابِهَا الْجَحِيمِ
يُحِبُّ بِصَنْدَلٍ صَمٍّ صَلَابٍ	كَأَنَّ الصَّاحِياتِ لَهَا قَضِيمٌ ^٢
فَتَسْمُوا مَا يَنْبِيهَا ضَوَاءُ	وَلَا يَجُورُ فِيْبَرْدِهَا السُّمُومُ
فَهُمْ يَطْفُونَ كَالْأَقْدَاءِ فِيهَا	لَنْ ^٣ لَمْ يَغْفِرِ الرَّبُّ الرَّحِيمِ
بِدَانِيَّةٍ مِنَ الْأَقْنَاتِ نَزْوِ	بِرَّآءٍ لَا يَرَى فِيهِ سَقَمِ
سَوَاعِدُهَا تَحْتَلِبُ لَا تَهْرَى	بِهَا الْإِيْدَى مَحْلَلَةٌ تَحْوِمُ
يُضِيضُ حَلَابُهَا مِنْ غَيْرِ ضَرْعٍ	وَلَا يَبْشَمُ وَلَا فِيْهَا جُزُومُ
فَيُحْرَمُ عَنْهُمْ وَلِكُلِّ عَرَقٍ	عَجِيجٌ ^٤ لَا أَحَدٌ وَلَا يَتِمُّ ^٥
فَذَا عَسَلٌ وَذَا لَبَنٌ وَخَمْرٌ	وَقَحٌّ فِيْ مَنَابِتِهِ صَرِيمِ
وَنَخْلٌ سَاقِطٌ الْاِكْتِنَافِ عَدٍ	خِلَالِ أَصْوَلِهِ رُطْبٌ قِيمِ
وَتَقْنُحٌ وَرَمَانٌ وَمَوْزٌ	وَمَاءٌ بَارِدٌ عَذْبٌ سَلِيمِ

^١ Ms. رحيم.

^٢ Ms. فضم.

^٣ Ms. لين.

^٤ Ms. عجج.

^٥ Ms. ييم.

وفيها لحم شاهدة ونحر^١ وما ساهوا لهم فيها مقيم
 وحور لا يرين الشمس فيها على صور الدمي فيها سُهرم
 نواعم في الأرائك قاصرات فهن عتائل وهن قروم
 على سُرى ترى متقابلات . الأثم النضارة والنعم
 عليهم سندس وجناب ريط وديباج يرى فيها فيوم
 وحلوا من أساور من لُجين ومن ذهب وعسجة كريم
 ولا لغز ولا تأثيم فيها ولا غول ولا فيها مُليم
 وكأس لا يصنع شاربها يلتذ بحسن رويتها النديم
 يصقروا^٢ في صحاف من لجين ومن ذهب مبنكة رذوم
 إذا بلغوا التي اجرؤا اليها تقبلهم وحلل من يعوم
 وخفقت البدور وأدرفتهم فضول الله وانتهت القُوم

[٢٥ 38 ٧] اعلم أن هذه الاشياء مما جاءت به الرواية والخبر
 فمنها ما هو ثواب ومنها ما هو عقاب ومنها ما هو تمييز وتفریق
 والمسلمون لا يختلفون في أساميها وإنما الخلاف في معانيها
 فإما الصراط فقد جاء في الحديث أنه يُنصب جسرٌ على ظهر

^١ بحر. Ms.

^٢ صغو. Ms.

جهنم ويُحمل الخلق عليه فمن كان من أهل الجنة جازه ومن
 كان من أهل النار تهافت فيها وقيل في صفته أنه أحد من
 السيف وأدق من الشعرة دُخس^١ مزلّة وفيه كالإليب
 وخطاطيف وسندان مضرّة وحسك مُفلطحة مُسيّرة كذا سنة
 صمودًا وهكذا هبوطًا وكذا وطأً والناس يجوزونه بقدر أعمالهم فمنهم
 من يمرّ كالبرق الخاطف ومنهم من يمرّ كالريح العاصف ومنهم من
 يمرّ كالطير الهادي ومنهم من يمرّ كالجواد المضّر ومنهم من يمرّ عدوًا
 ومنهم من يمرّ هرولةً ومنهم من يمشي مشيًا ومنهم من يزحف
 زحفًا ومنهم من محبوبًا ومنهم من يُحتضنه بكشحه وصدره
 والزأون والزالات^٢ كثير وقد أُجيب من يزعم أي ظلم أعظم
 من حمل الناس على ما هذه صورته أنه جعل تمييزًا بين
 أهل الطاعة وأهل المعصية وعلامة للحق على هلاك من هلك
 ونجاة من نجا وقد جاء في بعض الأخبار أن أهل الطاعة
 يجوزونه ولا يشعرون به وقيل ينزوي تحت أقدامهم كما
 ينزوي الجلدة من النار فاذا استقرّوا في الجنة قالوا ما بالنا
 لم ننح الصراط ولم نرد النار التي وعدنا فيقال انكم جُزتم الصراط

^١ دُخس. Ms.

^٢ الزالون والزالات. Ms.

في الدنيا بأعمالكم ووردتم النار وهي خامدة ومن هاهنا ذهب من ذهب الى تأويل الصراط وما الزم الانسان وكلف من مثنى الطاعة ومجاهدة النفس فيما يتزع اليه وعلى هذا فسر بعضهم فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة الآية وأما المترلة وأهل النظر فبأنهم يذهبون إلى أن الصراط هو الدين الذي أمر الله بلزومه والتمسك به وكان أبو الهذيل من بينهم يميز ما جاء في الخبر كما جاء ويحتج بما ذكرناه بدءاً وأما الميزان فروى كثير من المسلمين أنه خلق على هيئة الميزان التي يتعاطاه الناس بينهم في معاملاتهم ومبايعاتهم يوزن به أعمال العباد والأعمال عندهم مخلوقة وفي كتاب وهب عن ابن عباس أن له كفتين وعموداً كل كفة طباق الأرض أحدهما من ظلمة والأخرى من نور وعموده ما بين المشرق والمغرب وهو معلق بالعرش وله لسان وصيح ينادى الأسد فلان والأشقي فلان فإن صحت الرواية فالمعنى فيه ما ذكرناه في الصراط أنه جعل مميّزاً فارقاً وهو قول أبي الهذيل يجوز أن يُنصب 'ميزان' يجعل رجحانه علامة لمن نجح وخفّته

علامة لمن هلك وقالت المعتزلة غيره وكثير من الأمة ان
الميزان مثل لتسوية الجزاء وتحقيق العدل وهو قول مجاهد
والضحاك الشعبي واحتجوا بقول الناس للرجل الأمين العدل
ما هو إلا كالميزان المستقيم ألا ترى الى ما يرثى به عمر بن عبد
العزير رحمه الله [يسيط]

قد غيب^١ الدافنون التراب اذ دفنوا بندير سمان قسطاس الموازين

وانشد الفرّاء بيتاً [كامل]

قد كنت قبل لقائكم دائرة عندى لكل مخاصم ميزان

[٣٩ ٣] ويسمى الحجة ميزاناً والله اعلم واحكم وختلفوا في
الموزون فقال قوم يُوزَن عين الأعمال فتخف السيئة لانه
يأتيا الإنسان بخفة ونشاط وتثقل الحسنة لانه يأتيا ببناء
وكلفة وقالت طائفة بل يوزن صُف الأعمال وهو قول ابن
عباس رضى الله عنه ويعضد رواية عبد الله بن عمر عن
النبي صلعم يُؤتى رجل يوم القيامة ويُؤتى بتسعة وتسعين سجلاً

^١ Ms. عب, corrigé d'après le vers de Férâzdaq cité par Mas-
'oûdi, *Prairies d'Or*, t. V, p. 445.

كلَّ سَجَلٍ مَدُّ البَصَرِ فِيهَا ذُنُوبُهُ وَخَطَايَاهُ فَيُوضَعُ فِي كِفَّةٍ ثُمَّ
يُخْرَجُ لَهُ قَرطاسٌ مِثْلُ وَاشِدٍ بِطَرَفِ سَبَابَتِهِ عَلَى بَعْضِ
إِبْهَامِهِ فِيهِ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيُوضَعُ فِي الْكِفَّةِ
الْأُخْرَى فَيَرْجِعُ بِهِ وَقَالَ قَوْمٌ يُوْزَنُ ثَوَابُ الْأَعْمَالِ وَذَلِكَ
أَنَّ اللَّهَ يَظْهَرُهُ فِي صُورَةٍ وَيُحْدِثُ عِنْدَ الْوِزْنِ ثِقَلًا فِي الطَّاعَةِ
وَخِفَّةً فِي الْمَعْصِيَةِ وَكُلَّ مَا حَكَى وَرَوَى مِمَّا كَانَ وَاللَّهُ
أَعْلَمُ بِالْحَقِّ وَأَحْكَمُ وَأَمَّا الْأَعْرَافُ فَذَكَرَ أَنَّهُ كَسُورٌ بَيْنَ
الْجَنَّةِ وَالنَّارِ يُوقِفُ عَلَيْهَا قَوْمٌ إِلَى أَنْ يَقْضِيَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ
خَلْقِهِ مَعَ اخْتِلَافٍ كَثِيرٍ فِي مَنْ يَقَامُ عَلَيْهِ وَيُدَلَّ عَلَى أَنَّهُ
مِنَ الْجَنَّةِ قَوْلُهُ عَزَّ وَعَلَا وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ
أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ^١ وَفِيهِ يَقُولُ
أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ

وآخرون على الاعراف قد طعموا بجنة حقا الرمان والعصر
منهم رجال على الرحمن رزقهم مكفر عنهم^٢ الاخبار والرز

وَأَمَّا الصُّورُ فَإِنَّ الرُّوَاةَ مُخْتَلِفَةً فِيهِ فَرَوَى أَنَّهُ كَيْفَةُ الْقَرْنِ

^١ Ms. ربكم.

^٢ Ms. عنه.

يُجمع فيه الأرواح ثم يُنفخ منه في الأجساد عند البعث وقال
قوم يخلق الصور يوم القيامة وتأولوا قوله وهو الذى خلق
 السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قال يقول
 للسموات كونى صوراً يُنفخ فيه وقال بعضهم الصور جمع الصورة
 وإن صح الخبر كيف انهم وصاحب الصور قد التقمه وحنا
 جبهته ينظر متى يؤمر فينفخ لزم التسليم والقول به وأما
 الحوض جاء في الحديث بروايات مختلفة وقال كثير من
 أهل التفسير أن الكوثر اسم حوض النبي ﷺ وروى ما بين
 جنبى حوضى كما بين صنعاء وإيلة وآيته في عدد نجوم السماء
 مآه أحلى من العسل وأرد من الثلج وأشدّ بياضاً من اللبن
 من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً وقال قوم في تأويل
 الحوض انه عمله ودينه وطريقته والله أعلم.

• رواه Ms. •

تم الجزء الأول

فهرس الجزء الاول من كتاب البدء والتاريخ

العنوان	الصفحة
كلمة المؤلف في بيان علة تأليف الكتاب	٨-١
ذكر فصول الكتاب وفهرسها على التفصيل	١٧-٨

الفصل الاول في تثبيت . . . وبهذيب الجدل

٢٠-١٩	تعريف العلم وطريق حصوله
٢٣-٢٠	كمية العلوم ومراتبها وبيان حقائقها
٢٧-٢٣	تعريف العقل وما قاله أرسطو وبعض الفلاسفة في ذلك
٢٨-٢٧	القول في الحسن والمحسوس
٢٩-٢٨	درجات العلوم وتقسيمها الى واجب وسالب وممكن
٣٠-٢٩	تحقيق في معنى الحد وما قاله بعض الحكماء في ذلك
٣١-٣٠	تحقيق في معنى الدليل وما قيل في ذلك
٣٢-٣١	تحقيق في معنى العلة . . .
٣٣-٣٢	تحقيق في معنى المعارضة وما قيل في ذلك وبيان اقسامها
٣٤	تحقيق في معنى القياس وما قيل في ذلك
٣٥-٣٤	تحقيق في معنى الاجتهاد والنظر
٣٥	الفرق بين الدليل والعلة
٣٦	القول في الدليل
٣٩-٣٧	القول في الحدود وبيان حقيقة الشيء والجسم والجوهر
٤١-٣٩	بيان الاقوال في الجزء الذي لا يتجزأ

- ٤١ بيان حدّ الزمان وما قاله أفلاطون في ذلك
- ٤٢ بيان حد المكان وما قيل في الخلاء والقضاء
- ٤٣ بيان حد الاسم والوصف والقول والمعنى والحركة والجنس والسو
- ٤٤ القول في الاضداد
- ٤٤-٤٨ القول في حدث الاعراض وبسط الكلام في ذلك
- ٤٨-٤٩ السوفسطائية والردّ عليهم
- ٤٩-٥٠ في الرد على من يبطل النظر ومن يدعى ان لادليل على النافي
- ٥٠-٥١ مراتب النظر و حدوده
- ٥١-٥٣ بسط كلام في علامات الانقطاع عن الحجة
- ٥٣-٥٥ السكوت بعد استقرار الحق ابلغ من الكلام في الذنب عنه

الفصل الثاني في اثبات الباري وتوحيده بالدلائل القطعية

- ٥٦ الادلة على اثبات الله عز وجل غير منتهية
- ٥٧-٥٨ من الادلة أن الامم المحموده غير مختلفين في وجود آثار الصانع
- ٥٩-٦٠ ومنها أن الناس ولهون فزعون اليه تعالى في المكروه والشدائد
- ٦٠-٦٤ ومنها ان الناس في اقطار الارض يسمونه تعالى بنحواس من أسمائه
- ٦٤ ومنها وجود العالم والنظام الواقع فيه
- ٦٥ ومنها التفاضل الواقع في الموجودات من الانسان والحيوان والنبات والجماد
- الفكرة في جميع الموجودات حتى الصغيرة منها تهدي الانسان
- ٦٥-٦٧ الى الصانع عز وجل
- ٦٨ ذكر أمثال لتقريب الذهن في اثبات الصانع
- ٧٠ الرد على من يقول أن العالم من فعل الطبائع

العنوان	الصحيفة
حدوث الشيء دليل على كونه مصنوعاً ومخلوقاً	٧١
ما نقل عن بعض الحكماء في اثبات الصانع	٧١
ومن الدلائل فسخ العزم ونقض الهمة	٧٢
ذكر آيات من القرآن في هذا الباب	٧٢-٧٤
ذكر حديث بليغ في هذا الباب	٧٤
شعراء الجاهلية يشيرون إلى الله تعالى في أشعارهم مع كفرهم به	٧٥-٧٨
التفتيش عن ذاته تعالى محال	٧٨
ما قاله رسول الله (ص) لسائل سأله عن كيفية الله تعالى وهويته	٧٩
ماروى عن رسول الله (ص) في أن الشيطان يدعو الانسان إلى السؤال	
عن ماهيته تعالى	٨٠
جميع الناس مقرّون بوجود شيء في الغائب خلاف الحاضر	٨٠
ليس كل ما يدرك يوصف	٨١
الله تعالى ليس كالنفس أو العقل	٨٢-٨٣
هوية الله تعالى لا يدرك و اوصافه عين ذاته	٨٣-٨٤
نقل كلام بعض المتكلمين في ماهيته تعالى ومنع الخوض في ذلك	٨٤-٨٦
في اثبات التوحيد	٨٦-٨٨
بيان قول المجوس بآله الخير والشر واختلافهم في قدم الشرير	
وحدوثه و وهن عقيدتهم	٨٨-٩٠
ما قاله الثنوية في ذلك وبيان فساد عقيدتهم	٩٠-٩١
إفحام جعفر بن حرب الثنوية	٩١-٩٢
القول بابطال التشبيه	٩٣-٩٤

الفصل الثالث في صفاته وأسمائه

- ٩٥ اوصاف الله تعالى على قسمين : صفات الذات وصفات الفعل
- ٩٦ نقل اقوال المتكلمين في ذلك
- ٩٧-٩٩ ما قاله المعتزلة في صفات الذات والرد عليهم
- ٩٩-١٠٣ القول في أساميهِ تعالى وما قاله المتكلمون في ذلك
- ١٠٣ نقل اختلاف القوم في تنامي ذاته وعدمه
- ١٠٣ نقل اختلاف القوم في كلامه وادارته تعالى
- في أنه تعالى محيط بكل مكان ونقل بعض الاقوال المزيّفة في أنه
- ١٠٤ على الممكن - وسبحانه عما يفكرون -
- ١٠٤-١٠٦ في علمه تعالى وما قاله بعض الناس في ذلك والرد عليهم
- ١٠٦ الكلام في قدرته تعالى على المحال
- ١٠٧ الكلام في انه تعالى هل يقدر على الجور أم لا
- ١٠٧ الكلام في أن قدرته تعالى هل هي علمه أو غيره
- ١٠٧-١٠٨ كلام موجز في الجبر والاختيار وخير الامور

الفصل الرابع في تثبيت الرسالة و ايجاب النبوة

- ١٠٩-١١٠ نقل كلام البراهمة في انكار الرسل والرد عليهم
- ١١٠-١١١ كلام في رد من يقول لم لم يجعل الله كل أحد نبياً ؟
- ١١٢ كلام آخر في ايجاب النبوة ولزوم المعجزة للنبي
- ١١٣ كيفية الوحي والرسالة
- ١١٣-١١٤ كلام في كيفية القول والفعل من الله تعالى

الفصل الخامس في ذكر ابتداء الخلق

١١٥-١١٦	ما هي حكمة الخلقة وعلتها
١١٦-١٢٣	بسط كلام في رد المعطلة القائلين بقديم العالم
١٢٣-١٢٩	ذكر بعض الأدلة في حدوث العالم
١٢٩-١٣٥	إثبات الحدوث و رد الاشكالات الواردة في ذلك
١٣٥-١٤٠	ما حكاه افلوطين من اقاويل الفلاسفة في ابتداء الخلق ومبدء الموجودات
١٤٠	ما زعمه ايوب الرهاوي في المقام
١٤٠-١٤٢	ما حكاه بعض أهل الاسلام عن الفلاسفة في هذا المقام
١٤٢-١٤٤	ما قاله الثنوية والحرانية في ذلك
١٤٥-١٥٦	مقالة اليهود والنصارى في ابتداء الخلق
١٤٦-١٥١	ذكر مقال أهل الاسلام وبعض الروايات في بدء الخلق
	البحث والتنقيب فيما قاله الملل المختلفة في ذلك و تصويب
١٥١-١٥٦	ارجع المذاهب
١٥٦-١٦٠	ذكر اول ما خلق في العالم العلوي والسفلي وفذلكة البحث

الفصل السادس ذكر اللوح والقلم والكرسى والملائكة

والصور والصراط والميزان والحوض وسائر ما يعد

من امور الآخرة

١٦٠-١٦٣	ذكر ما قاله اكثر المفسرين في اللوح والقلم والمحو والاثبات
١٦٣-١٦٤	ما قاله بعض المتفلسفين في ذلك وذكر رواية ابن عباس

العنوان	الصفحة
ذكر العرش والمراد منه	١٦٦-١٦٤
ذكر الكرسي والمراد منه	١٦٦
ما قيل في حملة العرش	١٦٨-١٦٧
ذكر الملائكة وما قيل في صفاتها	١٧٢-١٦٩
ذكر بعض الروايات في صفات الملائكة	١٧٧-١٧٢
هل الملائكة مكلفون أم مجبورون ؟	١٧٨-١٧٧
هل الملائكة افضل أم صالحوا لمسلمين	١٨١-١٧٨
ذكر ما جاء في الحجب	١٨٣-١٨١
ذكر ما جاء في سدّة المنهى	١٨٤-١٨٣
لزوم الجزاء لأعمال العباد	١٨٥-١٨٤
ذكر اختلاف الملل المختلفة في الجنة والنار وبيان بعض أقوالهم	١٨٨-١٨٦
ذكر اختلاف المسلمين في ذلك وبيان آرائهم	١٩٠-١٨٨
بعض الآيات والروايات الواردة في صفة الجنة وأهلها	١٩٤-١٩٠
بعض الآيات والروايات الواردة في صفة النار وأهلها	١٩٧-١٩٤
ذكر اختلاف الملل المختلفة في بقاء الجنة والنار وفنائهما	١٩٧
ما يقوله السمنية من الهنود في التناسخ	١٩٩-١٩٨
ما زعمه اليهود في فناء الجنة والنار وبقائهما	٢٠٠-١٩٩
ذكر اختلاف المسلمين في هذا الفصل	٢٠٢-٢٠٠
كانت العرب في الجاهلية تؤمن بالجزاء	٢٠٢
كلام في الصراط ومرور الناس عليه	٢٠٣-٢٠٠
ماروى في الميزان والمراد منه	٢٠٧-٢٠٥
الاعراف والصور والحوض	٢٠٨-٢٠٧